وجود الحي

•

من النوازع التي رُكّبت في نفس الانسان ، نزوع قوي يعرف « بحب المخاطرة ». وابرز المظاهر التي يتخذها هذا النزوع ، هي ما نراه في اولئك الذين يعشقون ركوب الاهوال ، وسبر مفاوز المجهول، إذ يعبرون البحار العاتية لاكتشاف الاصقاع النائية من الكرة ، أو ينطلقون في طبقات الجو العليا ، أو يغوصون الى اعماق اليم ، سعياً وراء الدرس والبحث العلمي ، مجازفين بارواحهم ، وليس فوقهم أي قسر يلزمهم بذلك . إنهم يعمرون بروح الفداء ، فهم يتجاهلون الخطر ، او هم يطلبونه ، لكي يجدوا في مقارعته المتعة .

وليس هذا النزوع بغريب عن حياتنا اليومية ايضاً . إنه متغلغل هنا وهناك ، مستحوذ على الكثير من الناس ، ولكن مظهره يختلف عنفاً ووضوحاً .

من على شرفة هذا النزوع ، يحسن بنا أن ننظر الى الحياة . إن أعمال المجازفة التي تتولد عنه ، عبارة عن نقطة الانتهاء لطريق الحياة ، أي هي بمثابة الحد الفاصل بين الحياة والموت . فالنظرة الى ضدين من موقف مشرف ، أصدق منها فيما لو صدرت عن موقف غارق في احدهما .

ما اروع الحقيقة التي نكشفها من هذه الشرفة !.. حيوية عنيفة تزداد احتداما كلما اشتد الصراع ، وطاقة متعاظمة تنبعث وكأنها لم تكن في حيز الوجود من قبل ... ذلك ما يوحي لنا بان « لا حياة بعيداً عن الموت » نعم ، لا معنى لوجود بغير عدم ، ومن احتكاك الوجود بالعدم تنطلق شرارة الحياة .

فلا مبرر إذاً للوقوف بالذات موقف الانزواء الحذر ، فحياتها وثراؤها ، بل وجودها رهن بالصراع ، رهن بالتناوب الدؤوب بين التأكيد ، وبين الانطواء في العدم ، وبين العودة الى التأكيد من جديد . وكما انه ليس من معنى للحياة مع الجمود ، كذلك فلا معنى لتأكيد للذات متصل دائم . فالدوام من الجمود ، والتجدد الذي هو ميزة الحياة ، ثمرة النصر بعد الهزيمة ، ونتاج اصطدام وجود بعدم سبقه او اعقبه .

اما ذلك الاحساس للنفور من الالم ، او لرهبة الموت ، فلا يستولي إلا على النفوس الضعيفة ، تلك النفوس التي تستمرىء العيش الوادع ، والاوضاع الراكدة ، وتذوب شغفاً في معنى « الحرص » على ما ملكت اليد من كيان ومتاع . وتجريده من دقيقته خشية الضياع او النقصان ، وتتلهف دوماً على بلوغ ذلك المستنقع الآسن، « مستنقع السعادة » الذي يبهر العيون الخالية من البريق .

وإن هذه النفوس لترضى بالاستسلام للسبات العميق ، إذا علمت ان الرقود يحافظ على بقائها ويستديمه ، وحينما يلفحها نسيم ضئيل من تيار الحياة ، تضطرب هلعاً وتحس بان الارض تميد ، وبان الصواعق تنصب عليها .

اما النفوس التي تجد اللذة في مجابهة العواصف ، وفي التعرض للاخطار ، وفي السير بين الاشواك ، والتي تابى الاستكانة للراحة لانها جمود ، وتزدري فكرة « السعادة » لانها سذاجة وانتحار ، فانها لا تصدف عن الالم، بل لا تعرف خو فأمن الموت ، لانها تتجاهل خطره ، او تواجهه بتفهم معناه كتفهمها لمعنى الحياة .

لهذا ترى ان موقفها هذا ، يدفع بها اكثر فاكثر الى الامعان في تذوق طعم الحياة ، والى الابتكار في وسائل الكفاح المعبرة عن معنى الحياة الحقة ، وفي تفسير الوجود وإثرائه بالمعاني الخالدة . واذا بفكرة الموت تغدو بالنسبة لها خلاقه مبدعة ، بدلا من ان تطمرها في موت الخمول .

إن فكرة الموت عند من يستهين به مصدر للحياة، بل لعلها هي الحياة بالذات؛ فلم يعرف عند التاريخ إبداعاًلم تكن هي نقطة ابتدائه وروحه المتجددة ، كما لم يعرف انحطاطاً او فناء لم يكن وليد الهرب من الموت .

محمد وهبي

الجمال والجلال

بقلم صلاح الدين المحايري

وقف سائح امام شلال عظيم* تنحدر مياهه من ذروة شاهقة وتتطاير قطراته شرراً ونارا تتأجج في وهج الشمس، وقد سكنت جوارحه واوصاله والتمعت في اسارير وجهه علائم الدهشة والارتياح وما عتمت شفتاه ان انفرجتا صائحتين « يا للجلال » عقبه صوت زوجته الخافت العذب انه الطف مشهد في ناظري، ولكن شعور الارتياح والدهشة في نفس السائح الذاهل المتولد من الانطباع الأول مفترق في جوهره عن انطباع اللطف والحسن في مخيلة الزوجة مباين في درجته وقوة تأثيره في تحريك مكامن النفس والتصعيد بها درجات رفيعة من التصور الحالم. واذا كانت التجربة الجمالية بمعناها الشامل منطوية على الجميل والجليل واللطيف والفخيم والقسيم والوسيم وغيرذلك من السمات والصفات التي يشرد في تعدادها اللب والبصر وكان حصرها في اطار مشترك يطبعها بطابع كلي ضرورة محتمة تمييزاً لها عن نطاقي الخير والحق فان الشقة التي تفصل بعض هذه الصفات فيما بينها في عالم الحس والنفس عظيمة بعيدة الغور والقرار وكل محاولة لتوحيدها واندماجها تؤول، ولا ريب، الى نتائج متنافرة مضحكة، وحسب المستمع الكريم ان يتأمل فيما تستدعيه الملاحة واللطافة والجمال بمعناها الواقعي المألوف من شعور الغبطة والطمأنينة وما يقترن به الجلال من الدهشة والذهول والوجد والشعور بضآلة الذات ليتبين الفوارق السحيقة التي تفصلهما، وثمة ظلال متدرجة في نطاق التجربة الجمالية يبدو فيها الجمال بمعناه المألوف وسطاً بين طرفين متقابلين ينتظم في احدهما الجلال والفخامة وفي الاخر الملاحة واللطافة، وكل زوج من هذه الصفات يرتبط بوشائج قوية وسمات متشابهة تجعلهما متقاربين متآلفين فيما بينهما وان لم يكونا متطابقين، ولكن التنافر يبدو جلياً بين الجانبين ويزداد جلاؤه وضوحاً في المسافة الفاصلة بين اقصى الطرفين ويكاد المرء لاول وهلة ان لا يتبين في هذا النطاق الوسيع الروابط الجامعة مثلا بين الجليل واللطيف او الفخيم والمليح. ولكنها في الواقع تؤلف سلسلة متدرجة في الهبوط لا بالنسبة الى قيمتها بل الى تأثيرها. فالزوجة التي وصفت الشلال مخطئة بانه « الطف مشهد في ناظريها » تزداد اقتراباً من الصواب كلما امعنت صعداً في مراقي الوصف فهي اذا تدرجت قائلة بانه « احسن » ف« اجمل » ف« الفخم » ف« اجل » ما وقعت عليه الاعين رسمت لنفسها طريقاً سوياً يبتعد بها تدريجاً عن مواطن الزلل ويقودها الى اختيار الصفة الملائمة لانطباعات الحس واهتزازات النفس.

ترى ما هي المهمة الفارقة التي تؤلف بين الجلال والفخامة وتجعلهما منفصلين كل الانفصال عن الملاحة واللطافة؟ انها العظمة فيما يخيل لي والعظمة دون غيرها: فثمة الوف من المظاهر والاشكال والآثار الجميلة، المليحة، اللطيفة تنتقش في اغوار النفس وترتسم في المخيلة لا تمازجها انطباعات العظمة « وقد تكون هذه الانطباعات في كثير من الاحوال متنافرة مع تهاويل الجمال والملاحة واللطافة بل قد تكون ملاشية لصفاتها وقيمها الاصلية » ولكننا لا نستطيع ان نتصور او نشاهد الاثر الجليل الفخيم مجرداً من انطباع العظمة، والعظمة الطاغية، فهي ليست قرينة الجلال وخدينته بل هي لحمته وسداه وسرعان ما يتلاشى كيان الجلال والفخامة في المخيلة حين يتجرد عن اثر العظمة الطاغية في النفس.

---

* حديث اذيع من دار الاذاعة السورية بدمشق.

لا جرم ان العظمة ضروب كثيرة وشكول عديدة ، فعظمة الامتداد تتناول الحجم والعدد والديمومة ولا ريب ان كثيراً من المشاهد الجليلة الفخمة هي - بهذا المعنى - ذات عظمة بالغة تحار فيها العقول. سرح النظر في قبة السماء المديدة ورحبها الوسيع الذي يزهو بزرقة صافية في لألاء النهار وغمرة انواره وتغشاه في هدأة الليل ظلمة حالكة تزينها كواكب درية ونجوم سواطع قصية لا يحصى عديدها . وتأمل البحر عبابا موارا يسامت الافق السحيق ويجاوزه وهو تارة صفحة ساكنة شفافة كالزجاج وطوراً تلال واغوار من الامواج المزبدة الصاخبة ، والزمن يا للزمن ، بين لا نهايتين من الازل والابد تشدهان الالباب وتروعان القلوب ، ولعل من السخرية والازدراء ان ننعتها بالعظمة بمفهومها الشائع فهي صور لا تطيب على القياس ولا تنحصر في موازين العدد السحرية .

وميزان العظمة في الاحياء مختلف ، ولكنه كغيره يقاس بالامتداد الكبير، فالشجرة الجليلة قد لا تكون كبيرة الحجم، والنجم اللطيف من النبات صغير ضئيل ، اما الدوحة الباسقة فاخص صفاتها الفخامة والجلال، ولو طاب اليك، ايها القارىء الكريم ان تسمي بعض الحيوانات المهيبة الجليلة لكان النسر بين الجوارح ، والاسد الهصور بين الكواسر ، والحوت الضخم بين السوابح، وافعوان « البوا » الارقط بين الزواحف. وعسير عليك ان تتصور حشرة فخمة وان تشعر بالجلال امام حيوان يصغرك جسما ويقصر عنك باعا الا اذا تحولت عما تعالجه من ضروب العظمة الى شواردمعانيها العديدة الاخرى، والزهور الندية ترتسم في الاذهان صوراً لطيفة جميلة مليحة ولا يمكن ان تمتد خطوطها وتتضخم معالمها لتكتسي حلل المهابة والجلال الا اذا تخطينا الواقع الى مطارح التخيل القصية والرموز المغلقة الخفية ، وحسبك ان تقارن الجبل الشامخ بالاكمة الخفيضة والمعبد المنيف بالكوخ الضئيل والنهر الكبير بالساقية الضحلة والسهل الفسيح بالطريق الضيق لتتمثل الجلال باجلى صفاته وابرز مظاهره، ولا تقترن الجسامة دائماً بالجلال، اذ هي تتصف احياناً بالدمامة ، اما الجلال فهو من عناصر التجربة الجمالية بمعناها الفلسفي او ذلك النوع من الجمال المقترن بالعظمة الخارقة .

وثمة ضروب كبيرة من العظمة الخارقة يتمثل فيها الجلال، فهي قد تكون جسدية وحيوية او معنوية . يروي لنا القصصي الروسي الشهير « تورجنيف » في قصيدة من الشعر المنثور حكاية عثوره في احدى نزهاته الخلوية على عصفور دوري ازغب سقط من موكنه فوق غصن شجرة رطيب كانت تقيم فيه امه فتحبوه بحنانها وتغذوه بالقوت وترويه بالماء ، وكان هذا الفرخ بعد سقوطه ، يرفرف بجناحيه الضعيفين ويثب وثبات رشيقة قصيرة فوق البساط السندسي. فلما احس كلب الشاعر بوجوده اخذ يقترب منه رويداً رويدا ويهتدي الى مكانه بانفه الرهيف ويعد لالتهامه انيابا مسددة ووجهاً مكفهرا وما كاد يفعل ذلك حتى انقضت امه كالصخرة الصماء وبسطت فوقه جناحيها السوداوين واخذت تقارع الكلب مهتاجة ثائرة وتضاعف هجماتها مرتمية بين شدقيه الواسعين وهي ترسل صرخات يائسة مدوية وما لبثت ان اثخنتها الجراح واوهنها القراع فسقطت مضرجة بدمائها قريرة العين في تضحيتها ، وجم الكلب واخذ يعدو صوب سيده ويتمسح باذياله فكان ذهول الشاعر كبيراً لجلال المنظر وعظمة القدوة « تمثلت العصفورة الام كلب الشاعر وحشاً جسيما، وجفلت منه مرتاعة ولكن قوة تفوق ارادتها قذفتها من غصنها الآمن لجثمت فوق فرخها الازغب كدرع يقيه الغوائل مندفعة الى ذلك بحافز الحب ، والحب اقوى من الموت » وهذه العظمة لا تتصف بالامتداد الخارق بل هي خلافاً لذلك تتناسب تناسباً عكسياً مع هيكل الطير الضئيل « وهي تتمثل بالقوة المعنوية الرائعة ومقدارها » فلو نكصت العصفورة عائدة الى وكنها بعد ان بفدت قواها وتراءى لها شبح الموت المرعب ، او لو كانت الام من اناث النسور لتضاءلت هذه العظمة وانحدرت من قمة الجلال .

والطفولة الغريزة ترتسم في الاذهان صورة بريئة لطيفة وجسما رشيقا تتحول في يد مثال عبقري « كرودان » وهي يد صناع حاذقة، الى رمز لجلال النفس المتشوقة للاحاطة بخفايا

الوجود ، الطامحة لاحتواء الكون كله في صميمها « والطفل في اسئلته الكثيرة الشاردة عن الماهيات والعلل فيلسوف متوفر الحس ونبي صادق الحدس لا تشوب بديهته شوائب المعرفة المكتسبة وحجاج النظريات المجتلبة ، فشتان بين اهاب القزم الظاهر وعظمة النفس الخارقة التي تتسع لافاق الخليقة الشاسعة» والسم الناقع يحتسيه« سقراط » الفيلسوف ضاحكا مستفسراً وهو ينثر درر الحكمة الغوالي ويزهو بغلبة نفسه على العالم كله بسفاسفه ووساوسه ونوازعه الانانية الخسيسة قوة معنوية فائقة وجلال لا يطاوله جلال .

ولرب سائل يقول : الا يتمثل الجلال في مظاهر سلبية خالية من خوارق القوة المادية والمعنوية؟ وكيف يكون فقدان الحركة وتلاشي الصوت مجالا للعظمة الفائقة في مظاهر كسجو الليل وهدوء العاصفة وسكون الموت ؟ لا ريب ان السجو الذي يقترن في ذهن السائل بتلاشي الصوت يتجسد جلاله في عظمة القوة الكامنة التي تلمس بعصاها السحرية جلبة النهار وتجعلها بكماء، وهدوء العاصفة يتصف بالروعة لانه يمثل توقف الرياح العاتية عن هبوبها الجارف تأهباً لانفجار ثورتها وتجدد اعاصيرها. اما الموت في جلاله فهو رمز للقدر المحتوم ينطوي في سكونه الابدي على الغاز الحياة واحاجي الخلود .

تحدثت حتى الآن عن الآثار والصور الجليلة الفخمة كمظاهر خارجية مستقلة في صفاتها عن حالات النفس وطوارئها حين تشعر بجلالها او تحس بروعتها ، ولكننا حين ننعت هذه المظاهر الجليلة « بالعظمة الطاغية » نلمع ، في الحقيقة ، ضمناً الى اهمية الصلة الوثيقة بين تلك الاحوال النفسية والمشاهد البادية. ولو نظرنا نظرة باطنية لتجلى لنا الفارق بين حالة النفس في شعورها بالجمال والملاحة واللطافة وطبيعتها في الاحساس بالجلال وتخيله « فنحن بصياحنا » ما اجمل هذا وما الطفه ، نشعر في صميمنا بفيض غامر من السرور وانتشار باطني من الغبطة لا تعيقه الحدود والقيود ، ونحن نحس بالتناغم بين النفس وما تبصره من لمع الجمال وآثاره . فهي تجذبنا اليها دون اصرار او مقاومة ونحن نبادر للقياها بروح العطوف وقلب المحب. وشعورنا في ذلك ايجابي بحت ولكن هذا التعاطف لا يبدو بسيطاً او وشيكاً في الجلال. فهنالك مرحلتان او طوران من اطوار الشعور في هذه الحال «ففي الطور الاول نحس - ولو في جزء من الثانية - باضطراب وذهول او نفور وانكماش وكأن في روعة الاثر الجليل ما يصرفنا عن انفسنا فيمنعنا عن اكتناه اسراره وكأنه يشعرنا ازاء عظمته بضعفنا وتفاهة شأننا» وهذا هو الطور السلبي، وهو طور جوهري اصيل ولكنه غير كاف لاكتمال الشعور بالجلال ولا بد ان يعقبه طور ايجابي يتسع فيه نطاق الذات حتى تنفلت من حدودها ، وتقتحم فيه العظمة الخارقة التي اثارت في نفوسنا الاضطراب والذهول والانكماش طريقها الى مخيلتنا فتوسع مداها وتجسم اقدارها وتمكنها من الاتحاد بالاثر الجليل اتحاداً مثالياً كاملا يتخطى عالم الواقع الحسي ويبلغ احياناً في مداه القصي درجة الهيام ومرحلة الوجد والعبادة وما اصدق «كوته» الخالد في وصف هذا التصعيد على لسان «فاوست» وهو يذكر التقاءه «بروح الارض» الجليلة وارتياعه لمشهدها قائلا : لقد كنت اشعر انني مفرط في الضآلة ، بالغ في الجسامة .

دمشق صلاح الدين المحايري

الادب الانساني

بقلم عدنان الذهبي

☆

درج النقاد ، والمؤرخون للادب ، او للفن عامة ، على استعمال مصطلح : انسانية ، في مختلف المجالات الادبية ، والفنية ، للدلالة على نوع خاص ، ومتميز من الادب ، او لنقل من الفن عامة ايضاً ، مجرد،سام ، ليس في حقيقته مذهباً خاصاً ، ومتميزاً من المذاهب الادبية ، او الفنية ، كالغنائية مثلاً ، او الواقعية ، او غيرها .. مما تنبؤك بحاله النظرية التطورية في النقد الادبي والفني ، وانما هو يتميز بخصوصية تجربته الادبية . والفنية ، وهي التجربة الانسانية التي هو يشتق منها تسميته ، بافكارها ، ومشاعرها، واخيلتها ، والتي هي ترين عليه ، كادب، او كفن ايضاً في خصوصيته من فوق هـذه المذاهب الادبية ، والفنية ، فتجدها في بعض هذه المذاهب دون اخرى ، يشترك فيها بعض انواعها ، واساليبها : كما يخلو منها البعض الاخر منها بانواعها ، واساليبها ايضاً ، خلواً تاماً !.

والتعريف باصول النظرية التطورية في الادب ، او الفن عامة ، هو المتطلب الاول ، الواجب ، على الراغب في التعريف بالادب او الفن الانسانيين ، الا ان تبسيط اصول المذهب الانساني في الفلسفة لهو اكثر جدوى وفائدة في هذا التعريف ، وهذا من حيث ان الانسانية في الفلسفة نزعة عقلية ، جمالية ، هي اقرب النزعات الفلسفية من الادب ، او من الفن على العموم ..

تقول النظرية التطورية ان الادب ، او الفن عامة ، كائن حي ، هو لا يعيش على شكل واحد ابداً ، وانما هو تطور مستمر ، بموضوعاته ، واسلوبه ، يتحكم فيه في هذه المجالات الادبية الفنية ، ما يتحكم بشتى ظواهر العلم والفلسفة ، فكرتا النشوء والارتقاء اللتان تظلان تحددان تطور حيواته ، في تنازع البقاء نحو الاكثر جمالا ، ونظاماً ، وقوة !.. وكما ظلت الانسانية تجهد في طلابها للوضعية ، والاتصاف بمميزات التفكير العلمي ، الوضعي ، فكذلك ظلت الاداب والفنون تتطور ، نحو اكثرها تلاؤماً مع متطلبات هذه الفترة ، او تلك من فترات التطور الانساني نحو الوضعية ، فمرت باطوار رئيسية ، اساسية كبرى ، راحت تتسلسل فيها حيواتها الادبية والفنية ، هي على التتالي : الطور الملحمي ، فالطور الغنائي ، فالطور التمثيلي ، فالطور التعليمي ، والتي تسلسلت في اطارها تلك المذاهب الادبية الفنية من ملحمي ، وغنائي ، واتباعي ، وابداعي ، وواقعي ، ورمزي ، تعاقبت الظهور على مسرح الادب ، او الفن عامة ، بين انصار للقديم ، وانصار للجديد ، يظلون يتعاورون السبق ، او التحليق ، في تحقيقهم ما يتلاءم من هذه المذاهب الادبية ، الفنية ، مع الروح الوضعية العلمية ، التي يظل لها السبق في حياة الامم ، والشعوب ...

واما الانسانية في الفلسفة فهي نزعة عقلية جمالية ، راحت تلازم تطور التفكير الانساني في مختلف اعصره ، القديمة ، او الحديثة كحركات اساسية مغروسة في جذور الوجود الانساني ، تظل تحدد لبني الانسان تطور تفكيرهم ، وسلوكهم الانسانيين : بتمجيدها المتواصل للعقل ، والذي هو النور الطبيعي الذي خص به الانسان ، او تمجيدها لقضية الانسان كانسان ، حر ، عاقل ، هو ملك هذه الارض التي تتسلسل عليها حياته !.. ومن هنا تصطبغ الانسانية بصبغة ما هي تصطدم به من مذاهب علمية ، او فلسفية ، ومن هنا ايضاً كان مستواها الذي تكون عليه تجاربها ، هو نفسه مستوى التجربة الادبية ، او الفنية ، المسماة بانسانية : لولا ان مدار التجربة الإنسانية في الادب ، او الفن ، هو مدار التعبير الجميل ... بينما ان مدارها في الفلسفة ، هو مدار المعرفة الحقانية !. ولذلك كان شان تفسير الادب الانساني ، او الفن الانساني عامة ، هو شأن تفسير اية صبغة ، من الصبغات الادبية ، او الفنية ، التي يصطبغ بها هذا المذهب ، او ذاك من مذاهب الادب ، او الفن عامة ، كالملاحم ، او الغنائية ، او الاتباعية ، او الابداعية ، او الواقعية ، او الرمزية !.

والادب ، او الفن عامة ، انفعال بالجمال ، ثم تعبير جميل ، بالادوات ، والمتطلبات الادبية ، او الفنية ، عن هذا الانفعال بالجمال ، معيار القوة ، او الضعف فيهما، هو توفير المتعة الجمالية، الادبية ، او الفنية ، او خطؤها !.. وهذا من ان التعبير الادبي، او الفني ، اذا هو لم يكن جميلا ، لما كان ادباً ، ولا فناً !!. الامر الذي جعل الادباء ، والفنانين يحرصون على توفير القيم الجمالية ، ادبية كانت او فنية ، من اساليب ، او اخيلة ، او مشاعر ، او افكار،في اخص خصوصياتها ؟..وحرصهم هذا جعلهم يعرضون عن المعرفة الحقانية،التي يقدمها لك البحث العلمي،او الفلسفي !. الا انه لما كان اي ادب كبير ، او لنقل اي فن كبير ، يطمح في كل عصر الى ان يكون له اساس فلسفي ، يكون هو الحل الذي يقدمه لك هذا الادب، او ذاك الفن لمشإ كل الوجود، والحياة ، ثم انه لما كان افق الادب ، او الفن عامة ، هو افق الجزئيات ، او لنقل بخصوصيات ، او لنقل بالذات ، افق القصص يرويها ، والاعترافات ينثرها، والمناظر يرسمها ، وكان الى جانب هذا افق الفلسفة افق الفكرة المجردة ، والعاطفة العارية ، والخيال المجنح : فخروج الادباء ، والفنانين من حيزهم الادبي، او الفني، الى حيز التفلسف عامة ، يجر عليهم الخروج عن ذاتيتهم الجزئية، والخاصة ، الى مستوى الانسان، كانسان، يعانون تجاهه قضية الانسان كانسان ، او قضية الانسانية في تنازعها البقاء !..ومن هنا توضع مشكلة الانسانية في الادب ، او الفن عامة !.في مقابل مشكلة الذاتية ، بمختلف اشكالها الادبية ، او الفنية !..

هكذا تفسر الانسانية في الادب ، والفن ، ان لم نقل في الفلسفة عامة ، وهكذا يفهم لماذا تجد الانسانية هي فن الحياة ، او فن الوجود نفسه ، او لماذا كان الادب الانساني هو ادب الفترة الوجودية التي تعانيها فئة الرواد في حقل الانسانية المتطورة، المترقية ، الجاهدة الى العلم ، والوضعية .:. وهم هؤلاء الرواد ، الذين آتاهم الله تعالى عمق التجربة ، وثقب النظر ، وصواب التفكير ، وقوة التعبير ، يشرفون من مستوياتهم الادبية ، او الفنية ، على مستويات العلم ، والفلسفة ، يعانونها المعاناة العميقة ، كما يعبرون عنها التعبير القوي ، الجميل !! .

والطريف في الانسانية ، ادباً كانت او فناً ، ان ما تحققه من خروج الى حيز الانساني من الافكار ، والمشاعر ، لا تجده في جميع المذاهب الادبية او الفنية ، التي يعيش الادب ، او الفن عامة ، بمقتضاها : كالملاحم ، او الغنائية ، او الاتباعية ، او الابداعية ، او الواقعية ، او الرمزية !. بل ان هنالك مذاهب ادبية،وفنية لا يصح قط نعتها بانسانية، لا اذا انت تأملت مضمونها ولا اذا انت تاملت اسلوبها، مثل ذلك : الملاحم التي تقص عليك كيت او كيت من مغامرات هذا البطل او ذاك من ابطال هؤلاء القوم ، او الاخرين منهم ، او مثل ذلك. ايضاً، القصائد الغنائية او الاعترافات الابداعية التي تصور لك اذواق جماعة من الناس، بافكارها الخاصة ومشاعرها الخاصة ، او مثل ذلك ايضاً القصص الواقعي، او الروايات الواقعية ، او القصائد الارتسامية الواقعية ايضاً : والتي تروي لك اخبار هذه الطبقة او تلك من طبقات المجتمع ، او اميال جماعة دون اخرى من الناس، او جوانب من مشاهد معينة، حقانية ، في الوجود، والحياة.. كل هذه المذاهب بل كل هذه الاساليب لا يصح مطلقاً ان نعتها بانسانية ، بل انها هي نفسها لا تريد لنفسها ان نعتها بانسانية : وانما هي نفسها تعمل، على العكس،لتكون واقعية ، او لنقل اقليمية ، او لنقل ايضاً فردية ، ذاتية، خاصة ... تصور هذا الجانب من الطبيعة دون غيره ، او هذا المشهد ولا سواه من الحياة ، تصويراً فيه كل الخصوصية، المعنوية،او الحسية ، التي تنطق بها هذه الجوانب والمشاهد من الوجود !.. في حين ان هنالك ايضاً انواعاً ، واساليب اخرى من الادب ، او الفن عامة ، مثل المسرحيات الاتباعية ، او القصائد الابداعية، او الرمزية ، بتحررها بالقدر الذي يستطيعه صاحبها من حيز ذاتيته الفردية، وبرغبتها في الوقوف على قضية الانسان، كانسان في انفعاله بالوجود، او تعبيره عنه ، هي وحدها التي يمكنك نعتها بانسانية : بل انها هي نفسها تعمل للوصول الى آفاق هذه الانسانية ، تقف بك يوماً بعد يوم ، وجيلا بعد جيل، على قضية الانسان كانسان ، بافكاره ومشاعره، وهو في غمرة معاناته للوجود ، غمرة معاناته للحياة ، بصرف النظر عن خصوصية الاميال او خصوصية الظروف ، او المناسبات ، التي لمختلف اشكال الذاتية !!.

دمشق — عدنان الذهبي

التنورة المزركشة

نزار قباني

دمشق

ضيقي مع التيار .. واتسعي
وتفرّقي، ما شئتِ، واجتمعي
يا .. يا مغامرةً مصورةً
لتامّلِكِ الاحداقُ إن تقعي
طيري.. حقيبةَ انجم ورؤى
وعلى صباح عيوننا انزرعي ..
وتثاءبي .. يا نصفَ مزرعةٍ
انا والرياحُ عليكِ..فارتفعي!
وتمسّكي .. بمحطِّ خاصرةٍ
زنارها يبكي بلا وجع ..

***

جبليةٌ .. سرقتْ مواسمنا
فبلادُ آبائي ، هناك ، تعي
شالَ الهواءُ .. ببيدرٍ مرِحٍ
من موطن «الموّال» منتزع
لما رأونا في الطريق معاً
قالوا : صنوبرةٌ تسير معي !

***

إنْ تحتمي،من عصف عاصفة
بيديكِ،ما يحميك من طمعي؟
إني على المدّ العريض .. هنا
منشكّةٌ روحي..مع الوَدَع
متكمشٌ .. بحريرِ ضاريةٍ
تغزو النجوم بجانحٍ فزِع
زهراتُ ليمون .. تزركشها
كلٌ يا فضولي الخيط..إن تجع!
وامضغْ ثلوجَ الركبتين..فانْ
رحلتْ فصولُ الثلج، فاخترع!

في طريق الاحلام

بقلم رضوان ابراهيم

☆

ارجعوا ارجعوا يا صحاب من هنا.. فالطريق وعر، والظلام مخيف، والرياح عاصفة !!

ارجعوا ودعوني وحدي، أقتحم الأهوال، واخاطر بقلبي.

عودوا، واتركوني افتش عن أحلامي وحيداً.. إن استطعت أن اقتحم عليها وادي الصمت، وأرود من أجلها مجاهل السكون، وأضرب وراءها في بيداء اللانهاية ومطارح الازل !!

عودوا أنتم الى احضان الدفء، وخلفوني للرياح العاتية، اكالحها وتنوشني، واضرب في تلافيفها خطوة، فتردني عن غايتي خطوات، وهي تزأر من حولي، ويجن جنونها، ويثور زمهريرها.

إنها ثائرة مجنونة، تمزق ثيابي، وتبعثر شعري، وتلوي عنقي، وتملأ عيني من رمال الطريق !!

عودوا.. ودعوني والظلام، تقاتلني أشباحه الصامتة، وتهاجمني جيوشه السوداء الباغية، ويترصد لي منها مارد في كل خطوة، وهول في كل منعرج.

وانعموا انتم بحياتكم الناعمة في مواكب المدينة الصاخبة، الغارقة في الضوء المتوهج، المستدفئة بانفاس المخمورين، الراقصة على هدير السيارات وعجيج المركبات، واغنيات السكارى، وهذيان المعربدين..

..لاتعبأوا بحياتي، فهي لي وحدي. وقد بعثرتها في طريق الأحلام.. ولم يبق منها في يدي إلا صبابات لا تلبث أن تتناثر بين ثنايا الصخور، وعلى سفوح الآمال، ثم.. تتلاشى !!

عودوا، فالمراقد الوثيرة في انتظاركم، والموائد الحافلة بشهي المآكل، وعاطر الشراب، ويانع الأزهار ولذيذ الأسمار تهيأ لاستقبالكم.

والآذان المرهفة المتسمعة خلف الأبواب، والعيون المتشوفة الممتدة خلال الزجاج - تترقب عودتكم، حفية بكم، متلهفة إلى لقياكم، مشفقة من طول غيابكم.

والقلوب الوامقة تحسب الخطرات والهمسات، وتسبح مع كل نسمة تتخطر وتزداد خفقاتها مع كل خفقة قدم تدب، أو هبة ريح تتنفس، او حفيف غصن يترقص...

..فسارعوا اليها، فقد أمضها طول الانتظار: وغالبتها الدموع..

سارعوا ودعوني وحدي.. دعوني، فما لكم في صحبة المحرومين الفارغين من معاني الحياة خير !!

دعوني.. لا تحملوني اوزاراً الى اوزاري. فحرام ان أسترق النوم الهنيء من بين أجفانكم، وان أستل السعادة الغامرة من زوايا قلوبكم..

فانا عابر الليل حقاً، ولكن قلبي لا يطوّع لي ان أسطو على هناءة الناس وحبورهم.

انا سارق خطوات على أسنة الصخور ولست صانع خطيئة تتعقبني باللعنة، وتلاحقني بالبغضاء..

أجل.. انا حليف النجوم والسهد، والظلام والاسى..

انا طارق سبيل الى حيث لا ادري، ولست قاطع طريق على القلوب الهانئة القريرة، ولا متقحم اعشاش على السعادة الوادعة افزعها عن افراخها.

ولستم انتم من عصابتي، فطريقكم غير طريقي، وهدفي ليس هدفكم.. فلنفترق. لنفترق.. ولتمضوا الى سبيلكم الهينة الواضحة، المترفقة باقدامكم، ولتدعوا لي سبيلي اكابدها كما تشاء دروبها وثناياها ومنعرجاتها ومنحدراتها

عودوا ودعوني..

فالالام الممضة تلوي طريقي، وتتعرج بي حتى تضللني عن غايتي، وتتقلب بقيادي، وتزج بي في متاهات لا تنتهي الى هدف، ولا ترجع الى مأمن.

لكنني لست هنا في هذه المجاهل فريداً، فآهات اليتامى تؤنس وحشتي وأنات الثكالى تتردد في مسامعي، واشجان المساكين تملأ على فجاج وحدتي !!

لا تخافوا على الوحدة، فانا مع الليل الموحش، ولن يخاف رفيق الظلام !!

وانا في القفر الدوي آمن ان تزحمني وحوش المدينة، ولن يستوحش في القفر وحيد !!

٢٥ ليرة

قصة

بقلم شوقي بغدادي

من رابطة الكتاب السوريين

وقفت في الشرفة بلباس النوم أنتظر خروجها من باب العمارة. وفي الصمت سمعت صوت حذائها يتزحلق في ضجة عالية. فعرفت أنها وصلت عند الدرجة الغدارة التي تعترض الممشى والتي لا يحدس بمكانها في الظلام الا سكان البناية، وفي هدوء الفجر، لمحتها تخرج الى الشارع وترفع رأسها الى فوق وهي تهمس لي:

ـ لا يوجد رجال في الشارع.. ألم أقل لك؟ تصبح على خير..

كان همسها يسقط في أذني بالرغم من ان ثلاثة طوابق كانت تفصلني عنها، فنظرت اليها من عل وأنا اتنشق نسيم الفجر، ثم أشرت لها بيدي أن تذهب. ورأيتها تتردد بين أن تصعد الشارع او تهبطه ولكنها لم تلبث أن اتجهت الى اليسار، وراحت تصعد الشارع.

وقفت اتطلع الى شبحها المبتعد تحت اضواء المصابيح وأنا أكاد أسقط من الاعياء والنعاس، هذه الفاجرة. إنها تحمل الان بين نهديها كل ما كنت املكه منذ لحظات من مال، خمساً وعشرين ليرة وثلاثة عشر فرنكاً ونصف. ووددت لو أستطيع أن اقفز في الهواء، فأقبض على عنقها الدنس، وادس يدي في صدرها حيث وضعت الورقة المالية، ثم ارجع بها الى غرفتي الصغيرة الخاوية.

وعند المفترق، لمحتها تقف برهة وهي تتطلع فيما حولها، أليس من رجل آخر في ختام هذه الليلة!. المسكينة. إن طفلتين تحملقان الان في الظلام وهما تنتظران أمهما التي تأخرت حتى اذا غلبهما النعاس، استسلمتا للنوم كي تحلما بالاب الثري الجميل الذي طالما حدثتهما أمهما عنه، وعن سفره الى البلاد البعيدة، وعن موته هناك.

ورأيتها تتجه مرة اخرى الى اليسار، ثم تختفي بجسدها الضخم وراء المنعطف تاركة إياي وحدي أحملق في السماء السوداء التي بدأت الخيوط البيض تتسرب اليها من الشرق. كان الحي كله نائماً الا من صوت امرأة تحدث زوجها في

وحيد انا يا نفس، فالى كم تمدين لي من حبال الصبر، وتنامين عن صرخاتي المتأوهة، وتتثاقلين عن نجدتي كلما استنجدتك وتتخاذلين عن نصرتي كلما استنصفتك، وتنكلين عن معونتي كلما استعديتك على آلامي؟

ثم الى متى تتشبثين بالحياة كلما أهبت بك أن تمتطي جناحي الفتيين، لنحلق الى ملأ طاهر، لم تدنس اديمه مواطىء اقدام البشرية الجاحدة، ولم يهتف في سمائه صوت معول يضج بالشكوى، ولم تتردد في جنباته صرخات المعوزين والثكالى، ولم تثر امام اقداسه مظلمة تتضرع؟!!

حزين انا يا قلبي .. فالى متى تبسم للحياة، كأنك منها، وكأنها معك على وفاق، وكأنكما حبيبان، لم تتجن على شبابك، ولم ترهق احلامك، ولم تخذل آمالك؟

دعوني يا صحاب اضرب في هذه الحياة حتى تعيا أقدامي، وتجمدعيوني، ويذوب قلبي، وتتبدد روحي، ويتوقف لساني، من طول ما تساءل، وتكل مسامعي من طول ما الحت عليها الاصداء الباهتة الخرساء ..

ايتها البيداء السحيقة ..

هل رأيت احلامي تتراكض على رمالك، موغلة في حنايا الظلام، سعيا وراء غاية لا تتحقق، وطلباً لهدف لا ينال؟؟ ايتها الضواري الكاسرة ..

اما صادفت في مغداك ومراحك املا منطويا، معفر الوجنتين، مكدود الملامح، قريح العينين، ملوح الجبين، يسعى ولا يكاد يتقدم، ويمضي في غير طريق، وينادي بلا صوت؟؟

ايتها العواصف الصاخبة ..

اما عطفتك الاقدار على قلب انساني يترنح في احضان ثورتك الهوجاء الناقمة؟؟

ايتها الاقدار الجارية ..

لا ترفقي . فهذه الاحلام .. لم تعد احلامي.

وهذا القلب .. ليس قلبي.

القاهرة — رضوان ابراهيم

البيت المقابل كأنها تطلب اليه أن يعدل من اضطجاعه في الفراش ، وصدى نباح كلب يعوي من مكان مجهول .

كانت الساعة تقارب الثالثة بعد منتصف الليل، فأحسست بنسيم الفجر البارد يتسرب الى بدني ويشيع فيه قشعريرة متطاولة ، فلملمت حولي سترة النوم ثم ارتددت إلى الغرفة .

كان كل شيء يذكرني بما جرى قبل لحظات ، السرير المضطرب ، والثياب المبعثرة ، وبقايا قشور التفاح على الارض.

ومددت يدي الى سترتي أتحسس فيها ليرة منسية ، فلم اجد إلا الخواء ، يا للسارقة . لقد اخذت كل شيء ، حتى الفرنكات التي كنت اخبئها للصباح كي أشتري بها رغيفي المعتاد، وقطعة الجبن الاستامبولي من عند السمان القريب، ترى أيرضى أن استدين منه شيئاً بعد الان ؟.

لم أستطع أن انام . كان كل شيء يذكرني انني كنت غبياً كبيراً . وفي الغد ، ماذا اصنع اذا جاءني المؤجر ؟. والمطعم من أين اسدد له ثمن وجبات الشهر ؟ . والرفاق كيف اجلس معهم في المقهى بعد الان ؟. لا أحد يثق بي الان ويرضى أن ادين له باي مبلغ صغير . سأصوم حتى آخر الشهر عن الطعام وعن الدخان .. وعن النساء .. وعن كل شيء ..

واحسست بدوار يبدأ لطيفاً ، ثم يشتد شيئاً فشيئاً حتى صار كالدوامة وخيل لي أنني ملقى وسطها اتطوح منحدراً الى اسفل في هوة سوداء لا قعر لها . وأن الدوامة تدور وتدور وقد انبعثت من اعماقها رائحة خمر كريهة ، فاستقبلت بوجهي الوسادة وغمرته فوقها وأنا أحاول أن أنسى . ولكنها كانت لا تزال هنا ، حديثها الفارغ ، وقهقهاتها الجافة وهي تقص لي كيف أن جيرانها طردوها منذ مدة طويلة ، وانها الان طريدة في الشوارع تأوي الى غرفة صغيرة ، وأن ابنتيها ما تزالان في المدرسة .

كنت اعرفها منذ أمد طويل ، ايام كان لها بيت مستقل واعرف ابنتيها الصغيرتين الجميلتين، اللتين كانتا تجهلان كل شيء.

يا الله .. أفي مثل ذلك البيت كانت توجد هذه الطهارة!؟.

وانفصلت عنها مدة من الزمن ثم عدت الى بيتها مرة فلم أجدها . ومنذ تلك الاثناء لم أرها حتى هذا المساء . كنت أهم بدخول « الفلوريدا » ، ولكنني لمحت فجأة امرأة تضرب احد سواقي السيارات العمومية على يده التي مدها لها من النافذة ، يا إلهي .. إنها « ليلي » نفسها .. ولكن وجهها اكثر تجعيداً من الماضي .. وجسدها اكثر ضخامة !.

كانت « ليلي » تتابع طريقها حانقة ، ولكنها لم تلبث ان تسمرت في مكانها لدن سمعت صوتي، ومن زاوية عينها تطلعت إلي ثم ابتسمت . فقلت لها على الفور :

ـ أين أنت الان يا « ليلي » . اليس لك بيت ؟.

فقالت وهي تتخلع وتحاول ان تضحك :

ـ لا يا شيري .. انا الان أدور في الشوارع .. لقد كبرت ..

آه من هذه الدوامة التي تدور . ان احشائي تتخبط وأحس حاجة ملحة للقيء . وهذه الصور المقيتة . كيف أفلت منها ! ماذا يضير اذا جئت بها الى غرفتي ورضيت أن اعطيها كل ما املك . انها تريد ان تعيش. وأنا لم اعطها المال لها هي وانما لابنتيها .

واستدرت من جديد على ظهري وأنا احس بالغثيان يجيش في بلعومي ومعدتي . انها خمر مغشوشة . لا . انه التفاح اللعين . لقد شممت فيه رائحة كريهة تدل على أنه فاسد متفسخ.

ووضعت يدي على بطني ، ثم نهضت أترنح نحو المغسلة ، كان الظلام يخيم على الغرفة ، ولم يكن يتسرب اليها الا ضوء ضعيف من باب الشرفة المفتوح ، فمددت يدي كالاعمى الى زر النور ثم أدرته ، وفي غمرة الضوء الساطع لم اتبين طريقي الا بعد وهلة .

وقفت برهة اتأمل المغسلة الملونة بالقيء أحاول أن أتبين المواد التي يتركب منها . لا شيء الا ذرات صفراء صغيرة ، وأشياء ، كالقشور ، وكقطع الخبز ، وكحبات العدس .

ورفعت يدي ببطء ثم رميتها فوق صنبور الماء وفتحته حتى آخره ، وتركت يدي مستريحة فوقه . وفي إعياء الصقت راحتي ، الواحدة بالأخرى ، وجعلت بينهما تجويفاً ملأته بالماء وصرت أمسح به وجهي ورأسي وعنقي ..

برود منعش !.

ورفعت رأسي ثم أطلقت نظري عبر النافذة المفتوحة، كان الافق لا يزال أسود ، الا من بعض النجوم الصغيرة . وعدت مطرق الرأس الى السرير . ولكن ما كدت اسير خطوة حتى

وقفت لا اصدق عيوني . يا إلهي ! إنها ورقة مالية من فئة الخمس والعشرين ليرة مرمية على البساط عند طرف المقعد . ترى ألم اعطها المال .. أم انه سقط من صدرها أثناء العراك الاخير .. ام انها ورقة اخرى سقطت مني انا .. أم ..

وسمعت في السكون فجأة صوت حذاء يرقى في الدرج ، فسقط قلبي بين قدمي ، وتبخرت الغفوة من عيوني . اهذا قرع على الباب ام انا واهم ؟..

ـ افتح يا شيري .. انا « لي لي » ..

وعند العتبة لمحتها واقفة تبتسم لي ابتسامة كالحة وهي تقول متوسلة :

ـ شيري.. لقد نسيت ان تعطيني ورقة الخمس والعشرين.. صدقني أنني لم آخذها معي. إنني فقيرة يا شيري..هل ستنكرها علي ؟. أرجوك ان تعطيني إياها .

ورأيتني اقول لها بكثير من الخبث :

ـ لقد أعطيتك أجرتك فتفضلي وعودي مصحوبة بالسلامة

فقالت في خنوع يثير التقزز :

ـ انت صادق .. ولكن «المصاري» ليست معي.. لا بد انها سقطت مني . دعني ادخل كي افتش عنها ..

ورفعت قدمها فوق العتبة ، فسددت الباب بجسمي وأنا أقول لها بحنق .

ـ قلت لك اذهبي ، أتريدين أن أحضر لك شرطياً كي يحملك الى الذهاب ..

وفجأة رأيت الدموع تسيل على وجهها . كانت تبكي ولاول مرة في حياتي أرى امرأة من هذا النوع تبكي، كنت معتاداً ان أراهن يضحكن ابداً . يضحكن لكل رجل، ولاية نكتة وفي أية مناسبة، حتى ولو بصقت في وجوههن، حتى لترتسم الاخاديد مكان الضحكات على وجناتهن الشاحبة . إن صناعتهن هي أن يضحكن وتطلعت الى وجهها الذي سالت عليه الدموع مختلطة بالبودرة والحمرة والكريم وكدت امد يدي لها بالورقة لولا انني قاومت موجة الاشفاق التي اخذتني ثم أطبقت الباب في وجهها وعدت الى غرفتي .

الان ، سوف تهبط الدرج ببطء وانكسار، ثم تنزل الى الشارع . وقبل ان تسير لا بد ان ترفع رأسها الى الشرفة كي تنظر الى المكان الذي يقطن فيه الرجل الذي اختلس مالها. ولا بد ان حقداً لا يوصف سوف يحتدم في صدرها فتود لو ينهار البناء بساكنيه وان تراني مدفوناً تحت الركام . ولا بد وهي تسير ان تفكر ان هذا العالم الفاسد لا مكان فيه للشرفاء، وان كثيراً من الرجال غارقون في حمأة اكثر قذارة من الوحل الذي تعيش هي فيه . وتذكرت الطفلتين اللتين تحلمان بالاشياء الجديدة التي سوف تشتريها لكل منهما أم أفاقة تضرب في شوارع المدينة ولا تعود الى البيت الا مع الفجر .

عدت الى الشرفة ثانية انتظر أن تخرج من باب العمارة واصغيت في السكون لصوت حذائها الهابط. إنها تدوس بثقة الان ولن تخدعها الدرجة الغدارة مرة اخرى فتتزحلق . لقد عرفت الان جيداً مواطىء قدميها وماكادت تظهر حتى رأيتها ترفع رأسها كما حدست كأنها طفل طريح على الارض يستجدي الرحمة من ضاربه . فما كان مني الا ان انحنيت فوق حاجز الشرفة وقلت لها :

ـ تلقي نقودك ، وحاذري أن تسقط منك مرة اخرى . لقد وجدتها تحت المقعد .

وكورت لها بالورقة في قبضتي ثم رميتها لها، فهبطت عمودية حتى استقرت على ارض الشارع . ولمحتها تركض وراءها ثم تدسها بين نهديها وترفع رأسها نحوي . وخيل لي أنها تبتسم ابتسامة كبيرة لا تحد وانها تهمس بكلمة شكر .

لبثت واقفاً في الشرفة استقبل نسيم الفجر البارد واتطلع اليها من عل وهي تبتعد بشبحها الضخم تحت اضواء المصابيح. خيل لي اني أرنو اليها من مكان عال جداً ، وانني اسبح في الفضاء ، وانني اقف فوق سحابة اتطلع منها الى الارض فاراها صغيرة جداً ، صغيرة حتى لاوشك أن اقبض عليها بيدي .

وفتحت فمي كأني ابتلع النسيم البارد وأنا انظر إلى الافق الذي لم يبق فيه الا نجمة كبيرة واحدة ، ثم استدرت الى الغرفة فلم أر الا بياض السرير ، وابتسامتها وسط الدموع التي كانت تغسل وجنتيها ، وصوتها المتحشرج في حنجرتها وهي تحاول ان تصنع منه كلمة شكر .

دمشق

شوقي بغدادي

في مجال القومية

فاتحة الاعاصير

بقلم ابراهيم العريض

الهي ! رد ما لك من أياد على وطني ، ورد له « الايادا »
خلعت على رباه الحسن فذاً وألبست القطين به الحدادا
وما شرف الجبال لساكنيها وشم اباتهم خسفت وهادا
أهيب بهم فلا ألقى سميعا كأني المنادي ... والمنادى
ألا ذوقتهم ألمي ... ثاروا .. فيا رباه ! لست أنا البلادا

***

شبول الأرز ! بات الحلم عجزاً و بعض العجز موت ان تمادى
فكونوا النار تحرق، او قذى في عيون البطل، ان كنتم رمادا

الشاعر القروي

في هذه الفترة القلقة من حياة الشرق ــ التي استهلت على امه باستهلال هذا القرن ــ ساد في بعض الاوساط الادبية الاعتقاد بان الشاعر ــ عندنا ــ مكلف بان يعبر عن آمال امته وآلامها لا تتجاوز مهمته ذلك بحال من الاحوال. فعليه ان يضطلع بالشطر الاكبر من مسؤولية بث روح الامل في امته وايقاظ ابنائها من غفوتهم واثارة نخوتهم وخلق كتلة موحدة منهم تأخذ مكانها في ميدان الصراع والتنافس القائم بين الامم .

وهذه مهمة ولا ريب شاقة بقدر ما هي شريفة لانها تتطلب من الشاعر ان يكون له قلب الامة وعقلها معاً ... لا لسانها فحسب . وان تجتمع له الثلاثة في آن . ولا خلاف بيننا وبين هؤلاء في الرأي من حيث الاساس . فلقد كان الادب العربي ــ في اصل منشئه ــ قبَليّا . ينطق الشاعر فيه بلسان قبيلته ويمجد فعالها . فيعبر عن طموحهم وكبريائهم كما يراها مجلوة في مرآة نفسه . معتزاً في القبائل بما ينال قبيلته من توفيق . دون ان يتجرد بنفسه في مجال قوميته ــ او يحاول هذا التجرد ــ في الظروف المحيطة به ليعبر عن احاسيسها هي مستقلا بفرديته كانسان

واذ كان الادب العربي كذلك ... وهو كذلك بحكم بداوته الاصيلة بين الاداب المتحضرة الاخرى التي ازدهرت قبله او بعده ... فقد جرى طوال هذه العصور محتفظاً بحقه في ان يدفع بالشعر في هذا المضيق لا في الموضوع والمعاني فحسب بل حتى في الشكل والقالب . فقد بات الى اليوم في مجاله القومي لا يشذ ولا ينحرف ــ الا نادراً ــ عن الصور التي الفها في ماضيه. وهذا أدب العراق مثلا في جملته بين يديك . فلو تصفحته لرأيت هذه الظاهرة متغلغلة في حياة شعرائه ... وادبائه ... الى ابعد الحدود .. اذا تسامحنا معهم في امر التقليد .

بيد ان هذا النوع من الشعر ــ الذي مضى بعضهم على تسميته « سياسياً » ــ ينقصه الان شيء لا ادري ما هو ٠ احسه في اللهجة التي يندد بها الشاعر بذويه ٠ فاكثر هؤلاء ينسى انك لا تستطيع ان تقف خطيباً على رأس من هو مريض اذا كنت حقاً تريد له الشفاء. فلمعالجة المريض يجب على الاقل ان تلبس رداء السماحة كالطبيب.

وان احد هؤلاء ليحاول ــ في كل موقف يدعى اليه لوصف ادواء مجتمعه او طرق انتشال الامة مما هي فيه ــ ان يصدر فيما يبين عن روح الواعظ المتزمت والمرشد المغبون والطبيب الساخط في آن . فيحاول بذلك الجمع بين لهجتين ناقضت بينهما الحياة . لان لكل من هؤلاء ــ الواعظ او المرشد او الطبيب ــ موقفا في الحياة يختلف عن موقف الثاني . فكيف لمن يقلدهم على منصة التمثيل ــ مجرد تقليد ــ ان يفهم روح المريض ٠ او يعبر ــ في عين الوقت ــ عما يخالج هذا المسجى بين يديه من احاسيس صادقة .. كما هو المفروض في كل شعر قومي .

فليس يكفي في مجال القومية ان تبقى كل مرة تشيد بماضي الامة المجيد وان تتحدث بما كان لها في زاهر ماضيها من سيادة وفضل . ثم ترمي الامة في نفس الوقت بكل ما يحط من كرامتها في حاضرها البائس وتستنزل عليها السخط والعذاب . فما كان لاي طبيب ان يخاطب هكذا مرضاه ... بله المريض اخاه .

وموضع المؤاخذة في شعر هؤلاء « القوميين » هو افتراضهم ان الامة ان كان بلغ بها الضعف هذا المبلغ فذاك لأنها لا تستنير بضوء رأيهم في الامور . كأنهم من طينة غير طينتها ــ في المجال القومي ــ

او معدن أكثر نفاسة .

وقد يصعب على هؤلاء الناس ان يدركوا ان الشاعر لا يستطيع بمجرد صراخه ان يحول طبيعة الارنب مثلا الى اسد ما لم يكن هذا الغافل عن نفسه – بين يدي الشاعر – في الحقيقة اسداً . كما يصعب على هؤلاء ان يدركوا – بعد – ان الشاعر الذي يخاطب الامة – مترفعاً – بهذه اللهجة الفضولية لا يمكنه بحال ان يحس احساسها – ما دام هو يحمل عصا المعلم – ولا ان يعبر عما يخالج قلوب ابنائها في تساميه عليهم هذا التسامي المفتعل بروحه المتجردة . وأي تجرد هذا الذي لا يصدق حتى على حقيقة نفسه؟

فالشعر القومي الصحيح لا يكون الا مرآة لاحوال الامة نفسها . لا حكم مرتجل لهذا الشاعر او ذاك فيها .

هذا هو الذي يجعل الفرق بين قول وقول كالفرق بين التبر والتراب في كل ما يصك الاسماع في المحافل الادبية والسياسية من هذا الذي يسمونه الشعر القومي ... وليس في الحقيقة به « وما اكثر ما ينظم منه هذه الايام على قلة جدواه » فهو ابعد ما يكون عن روح الشعر القومي الصحيحة لانه ليس في واقع امره سوى كلم منظوم لنفس محمومة لا تعقل – في هذيانها – ما تقول ... بله ان تعني ما تقول .

وهذا هو ما يجب ان يميز «الشاعر» عن سواه من النظامين – على كثرتهم – في المجال القومي .



وما لنا وللنماذج الزائفة التي تكاد لا تخلو منها صحيفة في كل بلد ومكان . فان شئت نموذجاً صحيحاً للشعر القومي فاليك قطعة افتتح بها « اعاصيره » شاعر من المهجر شارك امته – حقاً – آمالها وآلامها ... على بعد المزار . فهو يهيب بها صارخاً ولكنه لا ينسى ابداً انه احد ابنائها ... انه جزء من كل ... فنداؤه بطبيعة الحال عائداً اليه . كما ان تنفيذه – الى حد ما – قائم عليه وما دام هو جزءاً في حياة هذه الامة فلا غرو اذا كان كل ما يؤذيها يؤذيه . وكل ما يمسها بسوء يهز كيانه ويلهب جفونه . انه يؤمن مع الاوائل ان انفك منك ولو كان اجدع . ولذلك فانه اذا نعى على امته مجدها الزائل فكما تنعي الحسناء – المطمئنة الى شبابها – جمالها احياناً امام المرآة ... عندما يعن لها ان تستعرض بالاسى احلام ماضيها . وقد تنكرت لها الايام .

مع هذا الفارق وهو ان شباب الحسناء لا يكون لها الا مرة اما الامة فتستطيع ان تبعث شبابها في بنيها وتحياه من جديد . كما كتب الله لها – على يد زعمائها – الخلاص .

واذا شئت المزيد فاليك التفصيل .

***

يفتح الشاعر عينيه على حاضر امته – وهو مسحور بجمال ماضيها – فيراها قد تنكرت لها الايام ، واوشكت ان تفقدها حتى املها بنفسها . فيتجه بنظرته – دامعة – الى السماء ... الى رب السماء ... لعله يعيد الى هذه الامة ما كان يطوقها به من اياد ... من جديد . فما كان لهذه الامة ان تقال من عثارها وتنهض من كبوتها بدون عونه . كما انها لم يكن لها في الماضي ان تختال في برد العزة بدون انعامه . لعلها ... لعلها ... ترفع رأسها بين الامم المنحلة . يتضافر مضرها ونزارها و« أيادها » من جديد . وهي القبائل التي كان يعتز بها تاريخها في القديم .

إلهي ! رد ما لك من أياد   على وطني ، ورد له « الايادا »

فما هي هذه الايادي البيضاء التي كانت للباريء الكريم على وطنه . اهي خصوبة الاراضي فيه . أهي كثرة مياهه . أهي غناء معادنه . أهي موارد الزيت .. أهي بعض هذا او كل هذا . كلا فليس لهذا كله قيمة ان لم تكن الخصوبة والوفر والغنى في نفوس ابنائه .. ولهم انفسهم . لا يشاركهم فيها دخيل . او ينازعهم عليها غاصب . بحيث يستطيعون – تحت سمائه الصافية – التمتع بآثارها هم .. لا سواهم . وما قيمة الربى اذا كانت تزهو للعيون بحسنها

بينما القاطنون عليها من ابنائها هم ابداً من حياتهم في عزاء ومن آمالهم في حداد .

خلعت على رباه الحسن فذا والبست القطين به الحدادا

وقد جعل الشاعر خلعة الربيع على ربى وطنه فذة فرفعها عن امثالها في المعمورة درجات . ثم جعل القطين به من عصره في حداد . وعليك - بينك و بين نفسك - ان تسأل عن الاسباب

ولكن الشاعر لا يتركنا طويلا في التيه نتلمس سبيلنا الى النور . فها هو يصارح ربه بان الذي خسف الاحوال في وطنه انما تنكر اهل الوطن لماضيهم . فلم يعد لاهل هذا الوطن ذلك الاباء الذي كان لآبائهم من قبل، يشمخ بانفهم الى المعالي . كهذه الجبال التي - ما برحوا - يشرفون منها على السهول :-

وما شرف الجبال لساكنيها وشم ابائهم خسفت وهادا

فتلك احدى العلل . ومصيبة هذا الوطن المنكوب باهله ان الذين يشعرون بما ينقصه من مصلحيه لا يستطيعون ان يبلغوا صوتهم أسماع بنيه . فاذا رفع احد المصلحين - كهذا الشاعر - عقيرته بما يلزم هذا الوطن لاقالة عثرته .. على يد ابنائه .. لم يكد يصغي اليه احد . فكأنما هو لا يناجي في هذه البيداء المترامية من الوحشة والجهالة الا شبح نفسه . ولكأنما هو يصرخ - حقاً - في واد :

أهيب بهم .. فلا القى سميعا كأنني المنادي ... والمنادى

واذا كانت هذه ثانية العلل في الوطن العربي - بعد فقدان ابنائه الاباء - تجابه المصلحين فان هذا الشاعر لم يسجلها تسجيل منكر لها لا يعنيه من امرها شيء . بل انما هو يسجل ألمه على ان يرى هذه الحال ضاربة اطنابها في وطنه . والا فان شاعراً عظيما قبله رأى في امته حالا مماثلة . فرجمها بمثل هذا الحجر .

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

وشتان بين النفسين .. ولا اقول بين القولين . لان الثاني - كما ترى - قد تبرأ من امته ونفض منها يده نفضاً . اما شاعرنا فيأبى ان يسلم بان الامة قد فقدت احساسها بالحياة . وما دامت هي حية فلا بد لها ان تشعر - مثله - بالالام . فلماذا لا يحركها هذا الالم . وهي اذا كانت لا تشعر بهذه الالام في نفسها الا تستطيع ان توقظها اياته لهذه الالام الان ، ان الجزء اليسير من آلامه لكفيل على ان يبعثها على الثورة .. على التمرد .. على الطغيان . فما للبلاد اذن لا تثور :

ألا ذوقتهم ألمي ... فثاروا... فيا رباه ! لست انا البلادا

ثم يرجع الشاعر بنظرته - ثانياً - الى الارض .. ارض وطنه بعد ان كان رافعها - دامعة - الى السماء .. يناجي رب السماء . فيرى بلاده . بلاد الكبرياء والشموخ . بلاد القمم والثلوج . بلاد « الارز » صابرة ولاصبر الحليم الذي يكظم ابداً غيظه . وليته كان صبر الحليم فقد قال الشاعر العربي :

احلامنا تزن الجبال رزانة وتخالنا جنا اذا ما نجهل

فيود لو استبدل لشبول وطنه - وقد سماهم شبولا لانه لم يفقد فيهم امله - بهذ الحلم جهالة وغضبا . وبالصبر ثورة وتمردا . فما الحلم في غير موطنه الا العجز بعينه . والعجز انه هو الاباء الهلاك

شبول الارز ! بات الحلم عجزا وبعض العجز موت ان تمادى

لقد أبى الشاعر ان يصم امته بالموت . ولكنه يرى من واجبه الوطني ان يذكرها بانها - بسيرتها الحاضرة - في طريقها الى الموت حتما . ان هي ابت الوعي وتمادى بها عجزها الى التفسخ والانحلال . فطبيعة الحياة تأبى الجمود وروح الحياة تأبى الانتظار .

وماذا يفعل الحي ليثبت انه حي . في وسعه - هكذا يقول الشاعر - ان يتفجر فيحرق بنار غضبه كل قائم في وجهه من المردة . اذا شاء باطل هؤلاء ان يتخذ من حقه هو وقودا . واذا اخمدت ناره قهرا ففي وسعه ان يملأ عين العاملين عليها من اهل الباطل رمادا تقذي جفونهم . فلا يرون الاشياء الا غائمة ولا يستطيعون لها استغلالا .

نعم في وسعه اذا شاء - ان يرمي بالباطل عن عرش جبروته ويحطمه كما تحطم الاصنام . واذا عجز عن ذلك ففي وسعه على الاقل ان يحفر لعباد الصنم حفرة على طول الطريق . فلا يسلمون في كل خطوة يخطونها من العثار .

فكونوا النار تحرق . او قذى في عيون البطل . ان كنتم رمادا

وهكذا .. لم يتجاوز الشاعر هنا - لو تأملت - في كل ما قال - سبعة ابيات . ولكنه استوفى فيها كل ما يحلم المقلدون بقوله ويعجزون عن ادائه حتى في آلاف الابيات .. بين مخطوط ومطبوع . ان هذه القطعة رائعة ما تلوتها مرة الا وازدادت في عيني حسناً . فما اشبهها بوجه ذلك الحبيب الذي قال فيه الشاعر :

يزيدك وجهه حسنا اذا ما زدته نظرا

وقد قلنا ان الشاعر جعل هذه الابيات فاتحة اعاصيره . فلا تعجب اذا هي ولدت في قلوب الاحياء - حقاً - الاعاصير .

البحرين ابراهيم العريض

محاولة

الى محمود ...

☆

لبلند الحيدري

•

بغداد

☆

وتشبثت بالموت عينانِ
وتشبثت بالارض رجلان
واظل ازحف في الصراعْ
يهوي شراعْ
وتموت في جنبي ذراعْ
واكاد اومىء بالوداعْ
يا للجبانِ
يا للجبان
وخجلتُ من ضعفٍ مهانِ
ما زال يضحك في ارتياعْ
ويظل يضحك في ارتياعْ
وهناك في البهو المغبّر كالزمان
كانت تمدّ لي الثواني
تلك العجوز بلا حنان
تكْ ... تكْ
ويدور فيها العقربانِ
تك ... تك
يا للجبان
يا للجبان، متى سيومىءُ بالوداعْ
واظل ازحفُ في الصراع

التهليل والتلبية

بقلم الاب مرمرجي الدومنكي
احد اساتذة المعهد الكتابي والاثاري بالقدس
وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق

☆

ان الساعي في البحث عن اصل هاتين اللفظتين في المعاجم العربية ليقع في حيرة وارتبـاك ـ كما يحدث له ذلك في شأن كثير من المواد اللغوية ـ لما هنالك من الاضطراب والتنافر في التحديد والتعريف والتنظيم.
اما نحن فطبقاً لمألوف عادتنا، وما اشتهرت به مباحثنا، نعمد الى تأصيل الالفاظ حسب نظرية الثنائية، وطريقة المقارنة الالسنية السامية. مما قد ذهب اليه فطاحل العلماء، من عرب، ومستعربين ومستسيمين، قديماً وحديثاً، في الشرق ولا سيما في الغرب(1)

التهليل

التهليل(2)، حسب الوارد في المعاجم، هو التسبيح، او القول «لا إله الا الله» وهو مأخوذ من الهيللة، كالبسملة والحوقلة.

وهلل مزيد للمجرد «هلّ» ومزيده الثاني «أهل».

وهذه اهم مداليل «هل» ومزايدته «هل» الهلال: ظهر الشهر: ظهر هلاله. وـ الرجل: فرح. وـ صاح ـ اهل الهلال: ظهر. وـ القوم الهلال: رفعوا اصواتهم عند رؤيته. وـ الصبي: رفع صوته بالبكاء. وـ الملبي: رفع صوته بالتلبية. وـ فلان بذكر الله: رفع صوته. وـ بالتسمية على الذبيحة: قال باسم الله. ـ و«هلهل» الصوت رجعة «الهلال»: غرة القمر حين يهله الناس.

وفي السريانية جاء Hal بمعنى: هلل، رتل، مدح، عظم، ثم بدلالة: هزأ، سخر، و Hallél: سخر، ازدرى و Hullâlâ جملة من مزامير داود. ثم سخرية. و Hallélugâ: هللويا،

---

(1) اللهم الا عند نفر من المقدسين القديم، بوصفه قديماً ـ كحضرة العلامة الاستاذ المغربي الجليل ـ والقاضين على اللغة بالجمود والتحجر. وبالحقيقة ان جناب الاستاذ الامام يتعذر عليه المناقشة في قضية المقارنة السامية، لجهله الألسن السامية، ما خلا العربية. ومن المذهل ما يبديه من مناقضة ذاته لذاته. اذ من الجهة الواحدة يستصوب نتائج تقصياتنا في تأصيل الألفاظ، بوسيلة الثنائية، ومن الجهة الاخرى ينكر صوابيتها نظريا، بزعمه انها مخالفة آراء اللغويين القدما.، ومقوضة اركان المعجمية، والقواعد الصرفية. وقد فندنا هذه المزاعم وما يضاهيها في مطاوي تآليفنا. وفي هذه الآونة الأخيرة، نشرنا مقالا مسهبا، في مجلة المجمع اللغوي السوري «مجلد ٢٧ جزء ٢ ص ٢١٦ ي ي» اثبتنا فيه ان هؤلاء الأئمة الاولين ـ وفي مقدمتهم الخليل، وابن دريد، والأزهري، وابن جني وابن فارس ـ قد فطنوا الى الثنائية، فقرروا حقيقة وجودها. وقد عززنا براهيننا بشواهدهم العديدة والواضحة. ولا غرابة في ان هذا المقال لم يرق حضرة الاستاذ اللغوي المحقق. فرد عليه بكلام ناشىء عن تهيج في الأعصاب، ومشرب روح الازدراء لبقية اللغات السامية ـ وبينها السريانية ـ التي لا يعرف منها سوى اسمائها. مما نم عن عجز وضعف في المحاجة. وقد تملل العالم الوقور بان اقوال هؤلاء المتقدمين لا تصلح شاهداً، وبانه يحتاج لاثبات عدم صلاحية هذه الشواهد الى تطويل في القول والشرح، وبغير ذلك من التمويهات. «انظر المجلة عينها ص ٣١٠ ي» فاذا كانت الحالة هذه، رأينا الاولى ان نترك استاذنا الفهامة بسلام وامان، ليهنأ ناعما في بحبوحة مزاعمه الشخصية. فنواصل نحن مهمتنا دون مبالاة بالعقليات والطرائق التقليدية العتيقة، غير الملائمة مبادئنا ومناهجنا المستندة الى الرقي في العلوم اللغوية، والألسنية العصرية. ومهما يكن من شيء، فان منشوراتنا تشهد باننا لم نزل من المشيدين بذكر عبقرية اللغويين السالفين، وما بذلوه من الجهود الجبارة، وما أدوه من الخدم الجلى للغة العربية، حسب نظريات واساليب ووسائل بيئاتهم وعصورهم. بيد هذا لا يعني اننا مندفعون بدافع الهوى والتعصب الأعمى الى تقديس مذاهبهم على علاتها، ولا الى الاقرار لهم بالعصمة في سائر اقوالهم، كما لو كانت وحيا نازلا من السماء. فان الله قد زان وماز الانسان بخاصة العقل الشريف، لكي يتعقل به، ويستخدم قواه لصالحه ورقيه في معارج الكمالات. والحال ان هذا العقل يدلنا على ان البشرية كانت وما زالت سائرة في سبيل التقدم، جيلا بعد جيل، ولا سيما في مجال العلوم، ومنها العلوم اللغوية، وانه ليس من المعقول والطبيعي ان تبقى اللغة وقواعدها جامدة متحجرة، مئات من السنين، دون انتعاش وتطور وتيسير وتكمل. لما في ذلك من المنافاة لطبعها وقوامها وحياتها التابعة حياة وتطور وترقي المتكلمين بها. بيد بمعزل عن هذا، غير عازب عن بالنا ان الله خلق البشر اطواراً.. وان كل حزب بما لديهم فرحون ... !!

(2) «تهلل»: تلألأ، أضاء

سبحوا الله . وورد في العبرية : Hâlal : اضاء ، هذى. و Hallel احتفل ، عيَّد ، عظم . و Hilthallél : فخر، اعتز، وفي الاكدية Alâlu «اصله Halâlu»: اضاء، وفي الحبشية Tomahlala : تضرع.

تنسيق وتعليل

ورد في هذه المجلة الغراء « ابريل ١٩٥٢ ص ٢٦ » في مقال « الغناء الديني عند عرب الجاهلية » بقلم ناصر الدين الاسد . ماجستر في الادب العربي من جامعة فؤاد الاول، نقلاعن المستسيم « Semitisant » روبنسون سميث « Religism of the semites431 » ان اقدم معنى « للتهليل » هو النواح والندب على القربان . اما نحن فلا نستصوب هذا الرأي ، دونك كيفية تسلسل مداليل هذه المفردة حسب الثنائية والالسنية السامية .

ان «الرس» او «الأس الاولي» المدعو في الفرنسية Base . حسب المصطلح الحديث » لاشتقاق كلة « التهليل » هو « الثنائي الخفيف » « طبقاً لتعبير الاقدمين » « هَلْ » الدال ، ليس على الصراخ عموما ، بل على الصراخ الخاص القائم على تحريك اللسان في الفم فيصدر عنه هذا اسم الصوت « هل » المكرر في « هل هل » ، وهذا ما يسمى « زغاريد » خارجاً عن العراق . وفي العراق يطلق عليه اسم « هلهولة » جمعها « هلاهل » ومن هذا الصوت المكرر جاء « الثنائي المطابق » اي المكرر ، وهو فعل « هلهل » ثم صيغ من « الثنائي الخفيف » « الثنائي المثقل » وهو المضاعف « هل » .

ان العرب اخذوا عبادة القمر من البابليين المدعو عندهم « سين » . ومن ذلك جاء اسم جبل « سيناء » او « طورسين او سينين » اذ يحتمل ان هناك بدأت عبادة القمر عند قدماء العرب ، واذ كان القمر يختفي في آخر الشهر ، ويظهر في غرة الشهر التابع ، كان القوم اذا رأوه يستبشرون ببروزه . وكانوا يعربون عن ابتهاجهم بهذا الصراخ الخاص الذي ذكرناه ، وهو « هل هل » او الهلهلة . وكانت النساء ماهرات في ادائه . في كل زمان . فوردت من ذلك الافعال التالية « هل، هلهل، أهل »

ان هذه الافعال بحد ذاتها، وطبقاً لمفاهيمها الاولية، لا تعني الا هذا الصراخ الخاص . بيد لما كان هذا الضرب من الصراخ يجري آن عودة القمر الى الطلوع ، جاءت كلة « هل او أهل » بمعنى الظهور والبروز، واذا كان القمر الظاهر منيراً اطلقوها على الضياء والانارة ، كما ورد ذلك في العربية، والعبرية، والاكدية. ومن ذلك ايضاً اسم «الهلال» اي القمر الظاهر في بدء الشهر.

لما كان المقصود من هذا الصراخ ، بطريقة « الهلهلة او التهليل » اكرام القمر بالاستبشار، عني بالمفردة المدح والتعظيم، ومن باب المعاكسة ، اطلقت على الاستهزاء ، لان الاطراء ، اي المدح الزائد ، هو سخرية وازدراء . ومن الافراط في التبجيل نشأت فكرة الاعجاب بالذات والهذي .

واذا كان « التهليل او الهلهلة » موجهاً الى القمر لاكرامه عند ظهوره ، توسعت الدلالة ، فاطلقت على صنف من اعمال العبادة للآله او الآلهة، او الاصنام القديمة ، فوردت لفظة « هل او اهل ، او هلهل » بمفهوم الاحتفال ، والتعييد ، والتسبيح ، والترتيل او الغناء . واذ كان من اهم افعال العبادة في الاديان تقريب القرابين ونحر الذبائح، فكان يرافق هذا التقريب صراخ التهليل الذي اضحى ترتيلا وغناء دينياً ، ولما كان المقربون يحزنون على القربان او الذبيح المذبوح للنسك ، جاء « التهليل » بمدلول البكاء والندب عليه . لكن الاولى ، في نظرنا ، بهذا المنطوق كلة « الولولة » لانها تعني البكاء اكثر من « الهلهلة » . وقد جرت عند عرب الجاهلية عادة ذكر اسم الصنم ، او الآله على الذبيحة قبل نحرها ، وهذا ما تشير اليه الآية القرآنية « ما أهل به لغير الله » . وفي الدين الإسلامي ، عوض اسم الصنم ،

يذكر اسم الله ، الاله الحق سبحانه ، عز وجل .

وانت ترى كيف تتسلسل مداليل هذه المفردات ، بانسجام واتساق ، حين بدئنا اشتقاقها من « الثنائي المثقل » وهو المضاعف الاخر « هل » ومزيده « اهل » . وبهذا يتجلى لعين كل ذي بصر وبصيرة ان « الثنائية » لا تقلب ، ولا تهدم المعجمية ، ولا تقوض اركان القواعد الصرفية . كما يدعي ، جزافاً واعتباطاً حضرة الاستاذ المغربي ، اللغوي المحقق المدقق : بل بالعكس تظهر من انجع الوسائل لتبيان التناسق المعقول في تطور الالفاظ ومعانيها ، فهي اذاً مقبولة ، لا مرذولة ، ومفيدة ، لا مضرة .

التلبية

« التلبية » ترداد كلمة « لبيك » . وقد وردت اللفظة في الجاهلية والاسلام ، من ذلك قول امية بن ابي الصلت : « لبيكما لبيكما . ها اناذا لديكما » « اي ملاك الموت » « شعراء النصرانية ا ص ٢٢٥ » « فناد الرسول : يا كعب . فقال : لبيك ، يا رسول الله » « وكانت تلبية النبي : « لبيك ، اللهم ، لبيك ، لا شريك لك ، لبيك » « بخاري ، باب التلبية » .

لقد اختلف اللغويون في اشتقاق اصلها ، وزبدة آرائهم انها مشتقة من « لب في المكان ، والب : اقام به ولزمه . وقولهم « لبيك ولبيه » ناجم عن ذلك ، اي لزوماً لطاعته . قال الخليل : وهو من قولهم : دارُ فلان تلب داري ، اي تحاذيها ، والياء للتثنية . وفيها دليل النصب للمصدر . وقال سيبويه : انتصب « لبيك » على الفعل ، كما انتصب : سبحان الله . وقد ثني على التوكيد . « اللسان ٢ / ٢٢٦ ي ؛ سيبويه ١ - ١٤٧ ي » وكذا القول في روبنسون سميث فانه لم يفهم اصلها واشتقاقها ، اذ قال : « وانحدر بين العرب الى ترديد لا معنى له لكلمة « لبيك » .

اما نحن فنقول : اذا تقصينا اصل هذه الكلمة الغامضة المعنى والاشتقاق ، رأينا انها قديمة جداً ، ودالة على ما كان الساميون يجرونه من الاعمال في غضون عبادتهم للقمر ، والى اليوم ، ان هذه اللفظة متداولة على الالسن في جنوب بلاد العرب ، وليس الفعل « لبى » واسم المصدر « تلبية » بصادرين ارتجالا ، كما في الفصحى ، من حرف « لبيك » ، بل يراد بذلك : « ساعد ، اعان ، اغاث » . على اننا نعلم من الناحية الاخرى ، ان قدماء العرب كانوا يعتقدون ان القمر في الليالي الاخيرة من الشهر يقع في ضيقة لشدة الضغط النازل عليه من قبل « تهامة » الى البحر وهي الكلمة tamtu (tahamtu) الاكدية التي استقرضتها العربية ، ولا سيما عربية الجنوب منذ القديم . كما ان هذه اللفظة ذاتها قد ولجت العبرية بصورة tehôm وفي السريانية بصورة thômâ فكان العرب يصرخون اذ ذاك « لبيك ، لبيك » موجهين الكلام الى القمر . كانهم يقولون « ساعدك او اغاثك » او فليساعدك ويفتك الاله مردوخ ، منجياً اياك من « تهامة » .

ولنا دليل في ان « لبيك » تطلق على المساعدة والاغاثة ان هذه الكلمة تتبعها لفظة اخرى وهي « سعديك » . فقد اشار سيبويه الى ذلك بقوله : « الكتاب ١ - ١٤٨ طبعة باريس » « حدثني ابو الخطاب انه يقال للرجل المداوم على الشيء لا يفارقه ولا يقلع عنه : قد ألب فلان على كذا وكذا ، وقد اسعد فلان فلاناً على امره وساعده . والالباب المساعدة » وكذا ورد عن البخاري في جواب معاذ للنبي « لبيك رسول الله وسعديك »

كل هذا ، لان القوم كانوا يدعون للقمر بالنجاة من « تهامة » فكانوا يصرخون كما تصرخ النساء في عصرنا ، في الاعراس والولائم « بالزغاريد » او « الهلاهل » وقد استمرت هذه العادة القديمة بين بعض العامة الجهلة ، في فرصة كسوف القمر ، لاعتقادهم الخرافي بان حوتاً يبتلعه ، فيصرخون ويضجون بالدق والقرع على الاواني النحاسية ، كالقدور والصواني وغيرها ، تهويلا لهذا الحوت المزعوم ؛ فيضطر لخوفه الى قذف القمر من فيه . وبذلك يزول الكسوف ، على ظنهم ظن الغباوة .

وهذه العادة ، عادة « التلبية » او الاغاثة والعون للقمر التي كانت من فروض العبادة في العالم القديم ، قد بقيت في مواسم الجاهلية العربية ، من مثل الحج وغيره . فتطورت دلالتها فاصبحت تطلق على الاجابة ، والطاعة ، والتهليل ، والتسبيح ، والتعظيم .

اما الصيغة ، فيمكن القول بانها ليست من باب التثنية والنصب كما هو الرأي السائد بين اللغويين الاقدمين والعصريين ، بل هي ضرب من اللفظ القديم بالامالة ، على مقال الوارد في اللهجات ، مثلا : « نادَيه ، توفيه ، استهويه ، صريط ، شكية ، كيفرين » يقابلها في الفصحى : « ناداه ، توفاه ، استهواه ، صراط ، مشكاة ، كافرين » . وعلى تعاقب الازمان ، ثبت في الفصحى التلفظ بالفتحة المشبعة كقولك : « رماه ، وقاها ، دعاك » . وهكذا تكون « لبيك وسعديك » من الآثار اللغوية القديمة التي بقيت في اللغة وسبقت « لباك واسعدك » على ان هذه المفردة « لبيك » ليست البتة من السريانية ، وليست دخيلة في العربية من هذه اللغة ، كما ادعى جزافاً البطريرك برصوم ، المقيم في حمص سورية* .

القدس — **الاب مرمرجي الدومنكي**

* يراجع كتابنا « معجميات عربية - سامية » ص ١٦٩ ي ي

الزند العاري

☆

الى الزنود التي احست لفحة الصيف فراحت تتفلت من الكوى الملونة

•

ما بال زندك عاف الكمّ منفلتاً　　من فُتحةِ الثوب، مغناجاً كرفّتهِ

وفرّ للنور والانسام ... ملتوياً　　على حريرٍ له اغواءُ رقته

ينزو ندياً رطيبَ الثغر.. يمسحهُ　　نور الصيوف ويشدو فوق سمرته

ويستلذ سوارُ العاج ضمته　　وعابقَ الخمر من أنداء طيته

وفيء غمازةٍ في ضمّ كوّتها　　خلج إشتهاء يناديني ببحته !

***

تثاءب الزند عن كنز يخبئهُ　　قبوٌ من الظل أغراني بعتمته !

وانزاح عن فسحة شهوى يضيءُها　　زرّ تفلّتَ من اسنان عروته

فلاحَ سفح لمنهومٍ يكوّرهُ　　عصفُ الرغائب في حمراء حلمته

ورفَّ فرخُ يمامٍ في مخرّمةٍ　　من الحرير، يعرّيها بلهفته !

يقطّرُ الجمر من منقاره سبقاً　　ويحرق الثوب في بركان شهوته!!

***

كشيفةَ الزند من بالامس طرّزهُ　　للغمز، نقشاً أرى وشياً لزرقته !

وراح يزرع حول الخال أنجمه　　صفراً...وحمراً لها الوان رغبته؟!

...هذا الطريّ حرامٌ أن نرصعه　　بالاثم يضحك في إغراء رعشته

غطّيه بالله من لفح الشموس ومن　　لفح العيون ! وردّيه لبردته

إني أخافُ عليه من فمٍ نهمٍ　　قد جُنّ من زندك العاري بربوته!!

فؤاد الخشن

من اسرة الجبل الملهم

قصة غرام لامرتين والفير

الوثائق الجديدة التي نشرها المركز دي لوبي حول هذه القضية الشهيرة

في اليوم الخامس او السادس من اكتوبر عام ١٨١٦ وصل لامرتين الى مياه « اكس ليبان » للتداوي، بعد ان نزل في ضيافة صديقه لويس دي فينييه في شامبيري . وفي اكس ليبان نزل في فندق الدكتور بيربيه وهو فندق من الدرجة الثانية ،كان لا يزال مفتوحاً للنزلاء في الخريف ، وهو منزل يطل على البحيرة ، منزل قديم تحيط بحديقته الداخلية غابة صغيرة جميلة .

واي شخص كان لامرتين وهو في السادسة والعشرين من عمره ؟ كان شاباً لا عمل له ، يعرض اسرته دائما ويزجها في مشاكله المالية . وكان شاعراً من شعراء الريف، ينحصر صيته في أذهان بعض الاصدقاء ، وكان - على الاخص - مريضاً نصحه الدكتور باسكال ، من سانت سورلان، بالذهاب الى المياه ليداوي كبده .

وهو علاج زخر بالاهواء ، وفصل قضاه الشاعر هناك ، ترك لنا عشرة اشهر من الازمات النفسية الحادة جعلت من شاعرنا عشيق الفير الخالد ،وصورت منه شاعر الحب المثالي المتسامي . لقد بدأت فرنسا تعلم عن اشخاص هذه القصة الغرامية الشيء الكثير منذ ان نشر لامرتين قصائد« التأملات »

وروى لامرتين في كتابه المشهور « رافائيل » قصته مع جوليا شارل . ولكنه على عادته رواها محرفة . وقد عدل الشاعر في التواريخ والاحداث والمشاعر مما دعاني الى البحث عن الحقائق غير ان جو الحادثة كما وقعت فعلا موجود بكامله في كتاب رافائيل .

كانت جوليا بوشودي هيريت زوجة السيد شارل الامين الدائم للمجمع العلمي الفرنسي تسكن في منزل الدكتور بيربيه في « اكس ليبان » وكانت قد اتت من جنيف وحدها بعد ان ألمت بزوجها نوبات مرضية منعته من السفر بصحبتها .

كان السيد شارل رجلا شهيراً توصل عام ١٧٨٣ الى نفخ المناطيد بالهيدروجين وقام برحلات جوية شهيرة . وقدتزوج جوليا عام ١٨٠٤ . وكان يكبرها بثمانية وثلاثين عاماً فقط . وكانت جوليا دائماً سيئة الصحة دقيقة الاعضاء ، وقد عرفت في طفولتها وصباها البؤس والحرمان مع خالتها، بعد موت ابويها. وها ان الاطباء ارسلتها الى إكس لتداوي اضطراباتها العصبية وسلها الرئوي القديم الذي كان يستفحل امره فجاءت الى إكس حيث - كما قال اناتول فرانس - جاءت تطلب الشفاء فحصلت على الخلود .

ولعل المرض قد بدأ يحملها منذ تلك الايام الى نهايتها الوشيكة . فان لامرتين وجدها : في اوج ايامها وكأنها على منحدر الشباب ... [ولم يعرف لامرتين سنها الا بعدموتها] وكانله من العمرستة وعشرين عاماً وكانت تبلغ الثانية والثلاثين، فقد ولدت في باريس في الرابع من يوليو سنة ١٧٨٤ من أب من نانت وام من خلاسية من سانت دومانج . وكانت قد ورثت عنها - كما يقول رافائيل - اللون الشاحب . واهداباً طويلة سوداء تظل عينين زرقاوين يضرب لونهما الى البني. كانت تتعب بسرعة وسرعان ما يغمى عليها. كان ثمة سحر محفوف بالعذاب ورهبة الموت يجملها في عين لامرتين اكثر من أي جمال .

والواقع اننا نجهل صورة الفير الحقيقية . وقد بين أحد العلماء اللامرتينيين ، البارون نانتوي ان الصورة التي تحتفظ بها لألفير لا تمثلها حقيقة. وليس لدينا اليوم الا رسمة بالقلم الرصاصي تمثل صورة غامضة لها ، مع خصلة من شعرها

الضارية الى اللون الكستنائي . هذا كل ما نعرف عن صورتها . وليس لنا الا ان نرى الفير بعيني لامرتين او رافائيل

وبين السادس والسادس والعشرين من شهر اكتوبر يقع الفصل الاول من قصة لامرتين وجوليا شارل . ففي قصة رافائيل يروي لنا أنه أنقذها ـ في هذا التاريخ ـ من الغرق. ولا ندري مبلغ صدق هذه الحادثة وانطباقها على الواقع ، وعلى كل فان عري الصداقة توثقت بين الشاب والمرأة وفي « تريزرف » عرفت « درب الحور » ورأت «اعترافاتهما الاولى» و«قبلاتهما الاولى » .

وبعد عشرين يوماً اصبحا عشيقين وأزمعا على ان يتوقفا في حبهما عن « الامتلاك ». « أزمعا » ؟ ـ على الاقل الراهن لدينا ان لامرتين كان يريد هذا لان جوليا بدت خاضعة لارادة الفونس. يتبين هذا من رسالتها اليه في ١ يناير ١٨١٧ : « ألم تقل انك واثق بانك تحفظ لي في قلبك شعوراً بنوياً اكيداً يا الفونسي العزيز ، سأحاول ان اكتفي بهذا الشعور ». وهكذا اكتفت بدور الام ، حيث حصرها منذ ذلك الوقت « احب » الابناء الى نفسها .

ان هذا السلوك لم يكن سلوكها الذي اعتادته . فهل قدم لها الدكتور بيرسيه بعض النصائح بهذا الخصوص ؟ ان لدينا رسالة لم تنشر بعد ، رسالة الى فيريو، صديق لامرتين، توضح الامر ، وتقفل باب الجدل العنيف بين الفريقين المتجادلين ، ولكن هذه الرسالة ليست في صالح طهارة جوليا ونقائها ! وفي هذه الرسالة يصرخ لامرتين :

« لقد كنا عاشقين ولم نعد الا صديقين مخلصين: أم وولدها . ولم نعد نرغب ان نكون خلاف ذلك . وقد اروي لك جميع تفاصيل هذه القصة الممضة . حيث لن ترى الا الدموع... »

لا، لم يكن حب لامرتين لجوليا شارل الا حباً عادياً يشتعل في اللحم والدم ويجمع زير النساء لامرتين الى تلك التي شهد لها برناردان دي سانت بيير مؤلف بول وفرجيني بالسيرة الملونة والغراميات العديدة ...

ولكنها لم تكن من النساء اللواتي تغلبهن شهواتهن على قلوبهن . والا لكرهها لامرتين .

لان العاشق والمرأة تساميا في الواقع الى مراقي الحب الصافي .

***

ورأتهما بحيرة « بورجيه » ـ مع فينيه الذي وصل في ١٥ اكتوبر ـ يهيمان على الضفاف او يجلسان تحت أشجار الكستناء المحيطة بروابي « تريزيف » وما كانا لينفصلا احدهما عن الآخر. وكانت تغني له الاغاني العذبة او يقرآن معاً



بصوت مرتفع . ويتبادلان احياناً المواثيق ويتحدثان عن الاشياء الخالدة ، هكذا مرت تلك الساعات العابرة ...

وافترقا في « ماكون » واتجهت هي الى باريس وانصرف هو شطر ميي Milly وبدأ عند ذلك تبادل تلك الرسائل اليومية تلك الاوراق الكثيرة التي كانت تنطلق من ماكون الى باريس ومن باريس الى ماكون تلك التي كانت تلتقي في مكان ما على الطريق فتتبادل حرارة الغزل وعطر الغرام ...

بعد موت جوليا أعاد فيريو للامرتين رسائله . وقداحرق لامرتين هذه الرسائل عند زواجه وحفظ لنا رينيه دوميك اربعة منها لعلها من احر واعمق رسائل الغرام في التاريخ ...

نعود الى قصة العاشقين بعد فراقهما فنجد ان كلا منهما دخل الى عزلة نفسه ان طوعاً وإن كرهاً . فقد عاد الفونس الى ميي وماكون واسرته وحاجته الدائمة الى المال . وكبده عادت اليها الالام رغم مروره في اكس ليبان ، اما جوليا فقد وجدت في باريس، من جديد،زوجها واصدقاءها ، واستفحل امر مرضها وغرقت في مهاوي الالام . ثم إنها لتأرق لهذا الشاب الذي لا يريد ان يكون الا ابناً لها حين تريد هي ان يأتي الى باريس ليستقر هنا قبل أن تموت . إنها ستوفر له سبيل الاستقرار مهما كلفها هذا من تضحيات .

وكان لها دائماً صالون انيق ، وأصدقاء ، ورغبة لطيفة في المساعي المثمرة . وكان يزورها هنا في باريس السيد بونالد والبارون مونييه ورينفال ورجال آخرون من اهل الحل والاحكام . وكانت تكتب اليهم من بعيد بشأن « ابنها » وها هي تشير اليه ليأتي ...

ولكن الفونس في ماكون لا يستطيع القدوم الى باريس. لقد انفتحت له طريق المجد ولكنه لا يستطيع ان يلجها . فما كان لديه من المال ما يسمح له بالذهاب الى باريس ليخدم مصالحه ويرضي حبه .

ولكن في اواخر العام عاد صديقه ريمون دي فيريو من البرازيل . وفي تلك الاثناء طلب فينييه من لامرتين الذهاب لملاقاة فيريو والفير .

كثير من النقاد يلومون لامرتين اليوم لانه ما كان يهتم يومها الا بمركز يحصل عليه : قائمقامية في «مو» أو سكرتيرية مفوضية في إيطاليا ! ولكن الرسالة التي بين يدينا والتي ارسلها لامرتين الى فيريو تثبت لنا أن شغله الشاغل كان يومها تفكيره بجوليا ومرضها وآلامها. إنه كان يعلم انها مقبلة على الموت وفي نزع قاس مريع : فهو قد علم منذ ايكس أنها ستلاقي ربها فتجنبها منذ تلك اللحظات ولم يطلب شيئاً غير قلبها وعطفها، ألم يهبها في تلك الايام قصيدته السماية « ابتهال » ؟

لم يتمكن لامرتين في تلك الايام من زيارة جوليا ورؤيتها فأرسل اليها مندوباً عنه صديقه إيمون دي فيريو . فدخل هذا الى بيت الحبيبة وكتب اليه هذه الرسالة التي لم تنشر بعد:

« لم تكن تخشى أن تدفع الملل الى نفسي وانت تطلب الي زيارة صديقتك يا الفونس . فالى جانب اللذة التي اجدها في خدمتك وابتغاء مرضاتك ، كانت ثمة رغبة او نوع من الحسد تدفعني لرؤية حبيبة قلبك وهكذا زرت مدام شارل مرتين. وما أن رأيتها حتى عرفت فيها تلك التي وصفتها لي مطولا في رسائلك.

هذه المخلوقة موجودة لتثير الفضول . جميلة يتضوع منها سحر غريب . لا تغر يا الفونس فانني اراها بعينيك. لم نتحدث الا عنك وكنت جائعاً الى حديث كهذا، ولا أقول لك اذا كنت محبوباً . فليس لي ما اطلعك عليه من جديد . أنت تسألني عن صحتها : لقد بدت لي ضعيفة تعاني آلام الاعصاب . وهي تشكو الارق الذي يهد قواها . وسألتني بدورها عن صحتك وقد اظهرت القلق الشديد عليك .

ولكن الحب لا يقنع بالرسائل ولا يكتفي بالصور ، لأنه يرغب في الوجود الحقيقي ». وكتبت جوليا الى فيريو من رسالة لم تنشر بعد :

« تعال لزيارتي يا سيدي ، فانا في حاجة الى ان يواسيني صديق الفونس . لقد تلقيت منه رسالة تمزق الفؤاد . انه مريض وانه ظالم . إنه يكتب الي عن مرضه وعن سفره ولا يقول إلى أين يسافر . وسيأتي الى باريس « حين تسمح له قواه ومشاغله بالقدوم !! » وفي الانتظار لا يحتاج الى رسائلي!! لم يترك لي طريقاً واحدة اكتب اليه بواسطتها . آه يا سيدي قل لي . أنت الذي لا اعرفك الا منذ قليل . ألم تر أنني احبه؟

يخيل الي اني لا استطيع ان الفظ اسمه الا اذا دل ارتعاش صوتي على مبلغ حبي له !! وهكذا لن اسميه لاحد سواك ! لا لانني اريد أن أخفي حباً أفخر به ، ولكن لان الارض تكاد تخلو من أنفس تعرف ان تقدر نفس الفونس حق قدرها وتفهم هذا العظيم حق الفهم وهكذا احب ان انطوي على وجوده ولا ابتذله امام الناس . ولكن علي أن اصرّح اكثر فاكثر لصديق الفونس : وإن في قلب المرأة لاسراراً لا تظهرها الا مرغمة تدفعها الى المحافظة عليها الرغبة في سردها كاملة او الخوف على كل حرف من حروفها المقدسة من الضياع في الاوحال . وهذا لا يعني انني افقد ثقتي بامثالك من الناس . وانا أعلم انك تستحق كل ثقتي. ولكن لاحظ انني لا استطيع ان اكتفي بالقول بانني أحب الفونس ! أريد ان أهتف بهذا الحب عالياً . ولعل النساء اللواتي يلمنني على حبي وتحرقي وأرقي وبكائي لم يحلمن بمثل الفونس ولم يلتقين بملاك مثله ..

انت تعلم الان إذن كيف أحبه. فقل له هذا اذا كان شقياً بحيث يشك في حبي ، وها أنا انحصر في حبي له حب ام لولدها ولكن لاحظ أنه اذا كان الفرق بيننا لا يسمح لي إلا ان اكون له اماً فان لهذا الموقف متطلباته أيضاً. إن علي لواجبات حيال الفونس . وهكذا ومهما كان من أمر قواي ومشاعري فانا على استعداد لاضحي له بكل شيء ... « جوليا » .

رسالة جميلة رهيبة ، حيث نرى العاشقة المتولهة لا تنجح في تحطيم حبها ، بل تخضعه لحب الشاب الذي تنبأت بعبقريته ومجده وقد كافأها الفونس . ففي الثامن من يناير ظهر الفونس في صالونها ساعة استقبالها لمدعويها العاديين .

وكان لامرتين قد وصل ذلك النهار نفسه الى باريس ونزل عند ريمون دي فيريو الذي خصص له غرفة في مسكنه بفندق ريشيليو شارع « سانت اوغسطين » . فباريس اذن هي المكان الذي رحل اليه لامرتين، ولهذا اذن لم يعد يرغب في رسائلها، وكانت اول زيارة زيارته لجوليا .

وكانت أربعة أشهر من أيام السعادة .

أجل . سعادة تلك الايام الجميلة حين كان يتأبط ذراعها ويسيران بهدوء قرب التويلري أو على الارصفة ، وقد ترك لنا شارل بريفو صورة بيانية لهذه المرأة الشابة الشاحبة الجبين ذات الهيأة الحزينة ، والمشية البطيئة الصامتة . وكان بريفو يظنهما أخاً يقود الى النزهة اخته المريضة .

ودنا الربيع فذهبا الى مودون وسانت كلود بحثاً عن الشمس وخضرة الايام الاولى على الاشجار وفي الارض النابضة بالربيع الجديد . ثم دنا موعد الرحيل . وفي الثالث من مايو رأى قصر سانت كلود نزهتهما الاخيرة وفي السادس من مايو ذهب لامرتين الى « بيرون » عند خالته مدام دي فيلار ثم ذهب الى ميي. وكان يحمل معه الدفتر ذي الغلاف الاحمر الذي قدمته اليه جوليا . وتواعدا على اللقاء في ايكس في الصيف القادم ، ولكن قدر لهما ان لا يلتقيا بعد ذلك أبدا .

وكلف لامرتين فيريو بالاهتمام بجوليا. فكتب اليه قائلا :

« حين تركتك ذهبت الى مدام شارل . وبقيت طوال السهرة . وكما تتخيل فالسهرة لم تنقض بـلا بكاء . ثم هدأت صديقتك في النهاية ، وكانت في حالة حسنة حين تركتها .

والبارحة عدت ايضاً . فرأيتها ضعيفة مجهدة . ولكنني حدثتها طويلا عنك وعن رحلتنا الى ايطاليا في القديم ــ دون ان اذكرها غرازييلا طبعاً ! ــ فعاد اليها شيء من القوة والعزم » .

وفي مطلع الصيف اتجه لامرتين الى فيشي للاستشفاء . واتجهت جوليا الى فيروفلاي وقبل سفرها كتبت الى فيريو هذه الرسالة .

« أسفاً ! ان حالتي الصحية تزداد سوءاً ، ولكن ذكرى الفونس تحمل العزاء الى نفسي .لقد تلقيت هذا الصباح رسالة منه فقرأتها وانغمست في حالة من اليأس الجامح . ان الفونس مريض في فيشي وثمة من خطر على حياته » !

ولكن صحة الفونس تتحسن قليلا فيترك فيشي ويعود نحو منزل الدكتور بيبريه في إكس. فهو امين على موعده الذي ضربه لجوليا في سان كلود، ولكن جوليا كانت عرضة لنوبات المرض في فيروفلاي فلا تستطيع الوصول الى مكان اللقاء .. الى تلك البحيرة التي خلدها الالم والشعر .

ونحن نعلم من رسائل لامرتين وذكرياته ورسائل فيريو كثيراً عن تلك الايام .. نعلم أنه كان يهيم وحده في « ترزرف »

في درب الحور تلك ، وفي غابة الكستناء في « هوتكومب » على صفة البحيرة .. كان يهيم في كل تلك الامكنة الجميلة التي شاهدت في الخريف الماضي خمسة عشر يوماً من الحب تمر به فتسعده الى الابد وتشقيه ..

ودارت الانغام والصور في مخيلته وفي التاسع والعشرين من اوغسطس في هوتكومب ، على ضفة البحيرة ، كتب على الصفحة السادسة من الدفتر ذي الغلاف الاحمر هدية حبيبته جوليا في سانت كلود كتب لامرتين :

« جلست على الصخرة قرب النبع وانا افكر فيك يا جوليا قرب دير هوتكومب ، اطل على البحيرة رأساً ، محلنا المختار لبناء منزلنا لو ... »

ولم يجرؤ على ان يتابع كتابته في حلمه المستحيل .. وعلى هذه الصفحة نفسها نرى اليوم بالقلم الرصاصي بعض الابيات التي اصبحت اليوم على كل شفة ولسان : قصيدة الى بحيرة بورجيه :

« وفي إحدى الامسيات، اتذكرين ؟ كنا نعوم في سكون
وماكان يسمع في الاجواء ، وعلى الماء ، وتحت السماوات
الا حركة المجذافين الذين كانا يضربان بايقاع ..
امواجك الموسيقية المنسجمة ».

وهكذا خلدت هذه القصيدة ذكرى جوليا شارل المفقودة على ضفاف البحيرة . فهل انهاها لامرتين في هوتكومب ؟ كثيرون يشكون في ذلك ، وبعضهم يظن انه انهاها في « تريزرف » في « رابية الوحي » وهكذا تتنافس ضفتا البحيرة في شرف صياغة هذه القصيدة ..

ولكن الشاعر لم يضع قصيدته في شكلها النهائي الا في «الجرانلامب » عند فيربو . وفي ليون حيث ذهب ليستشير الاطباء . وكانت اخبار الحبيبة المريضة تتحول من سيء الى اسوأ . وكان السل الرئوي يضيق على انفاسها شيئاً فشيئاً .

فمنذ ايام اغسطس الاولى لم تعد جوليا تقوى على النهوض من الفراش . وفي الثلاثين من سبتمبر جيء بها من فيروفلاي الى باريس لتموت في بيتها .

وقد حضر كاهن سان جرمان ، الخوري « كيرافنيان » ساعاتها الاخيرة. وقد عرف لامرتين برسالة من الدكتور ألان كيف ماتت في الثامن عشر من ديسمبر ١٨١٧ حوالي الظهر بحضور زوجها وشفتاها على الصليب .

وكتب لامرتين الى فيربو من رسالة لم تنشر بعد :

« انتهى كل شيء ، يا صديقي العزيز ، وصديقتنا لم تعد موجودة منذ تسعه أيام. فبعد ثلاثة اشهر من الحشرجة والنزاع مع الموت ، وبعد اليأس والدموع والصيحات والقبلات في الفراغ ، انتقلت اخيراً الى عالم أفضل . وكنت أعلم بمصيرها هذا منذ ان عرفتها . ولكنني كنت أخادع نفسي وأتمنى على الله ان تظل. ووسط يأسي العارم والفراغ الرهيب الذي تركته جوليا حولي ، احس براحة كبرى لانها لم تعد تتألم ، وأنني اتألم وحدي وأنها سعيدة اعمق السعادة في هذه الساعة . لقد ماتت وتألمت كما يتألم الملاك على هذه الارض، ماتت وملء نفسها العذوبة والسلام والامل ؟ هذا ما علمت به من امرها منذ ثلاثة ايام من الدكتور « ألان ».وداعاً.وداعاً... «الفونس»

ويقول لنا « دارغو ».في رسالة له أن لامرتين حين قرأ النبأ الرهيب صرخ صرخة رهيبة مفزعة وهام يومين كاملين بين العرائش والغابات الى ان عادت به امه الى المنزل وهو بين الحياة والموت والجنون .

وانتصرت به الحياة اعظم انتصار ولكنه ظل شاعر الفير.

سالومى

☆

لكمال نشأت

•

القاهرة

☆

هناك .. على نبضات الشعور
سالومى سترقص في الهدأةِ
بنفسجة لوّنتها الغيومُ
من اللهبِ البض .. والسمرةِ

ضراعاتها .. زنبقات الربيع
تُجسّد أعطارها الساهده
خطاها .. أغاريد من معبدٍ
ترف على « طيبة » الهاجده

تنقلها في دروب الظلام
فتطبع فيها صغار النجومْ
وتروى الملاحم من أمسها
على رعشات الحنين السهومْ

وفوق احتدام النهود الحرارْ
وشاحٍ يجوع به الأرجوانْ
وشائجه .. نسجتها عذارى
سكبن عليه ضحى « أصفهان »

هناك .. ستلمع في رقصها
أساورها النافذات البريقْ
كعين لنسر خضيب الجناح
يئن على كبرياء .. وضيق

سالومى سترقص فوق الورود
شراعا يطوف بحار الشمالْ
ينحه زبد لاهث
فيحلم بالدفء قرب الرمال

سالومى ... أيا فتنة الوامقين
ويا دوحة الأمل الأنور
تعالي إلى الربوات الوضاء
ودوري على النغم الأشقر

على نبرة تشتكي .. والتياعٍ
كهمهمة في مساء غرير
من الدير .. ترسلها الراهبات
فيحملها للروابي الأثيرُ

سالومى، سالومى، حنان عريض
سينعش فيه احتراق الظماء
وتنبت فيه أغاني الخفيف
وتخضلّ فيه زهور المساء

هناك .. على نبضات الشعور
سالومى سترقص في الهدأة
بنفسجة لوّنتها الغيوم
من اللهب البض .. والسمرة

في طريق الميثولوجيا عند العرب

بقلم محمود الحوت
استاذ في العلوم

الباب الثالث : عبادة النجوم

الفصل الأول : الصابئة ـ معرفة العرب بالنجوم

قديمة جداً هذه الفرقة التي آمنت بالله خالق ، واعترفت بالعجز عن الوصول الى جلاله الا بواسطة روحانية لا جسمانية . والصابئون هم بالحقيقة ـ على رأي البيروني ـ المتخلفون من أسرى بابل الذين نقلهم بختنصر من بيت المقدس اليها . ولقد اعتادوا ارض بابل فآثروا المقام بها . ولما لم يكونوا من دينهم بمكان معتمد ، سمعوا اقاويل المجوس ، وصبوا الى بعضها ، فامتزجت مذاهبهم من المجوسية واليهودية ، وانتشروا في بلاد الرافدين على ان اكثريتهم سكنت سواد العراق(١) .

وقد دعا البحاث ذكر هذه الفرقة بين اولي الكتاب ، الى تقسيمها قسمين : مؤمن وكافر . غير ان الكثير من اصحاب هذا التقسيم لم يروا ما رأى المستشرق كرادي فو من ان القسم الاول انما هو ـ على ما يظهر ـ مسيحيو يوحنا المعمدان في العراق ، وان الاسم نفسه صابئة مشتق من اصل عبري يقابل معناه كلمة Baptists اولئك الذين يمارسون « المعمودية » بالتغطيس . وهو يرى ايضاً ان الصابئة الوثنيين ـ الذين لم يعرفوا هذا الطقس الديني مطلقاً ـ قد تمكن ان يكونوا اتخذوا اسم « الصابئة » ليحظوا بتسامح القرآن مع اولي الكتاب(٢) . وليلاحظ ان البيروني قد سبق دي فو الى هذا الرأي الاخير فقال : « وقد يقع الاسم على الحرانية ... وهذا الاسم اشهر بهم من غيرهم ، وان كانوا تسموا به في الدولة العباسية في سنة ثمان وعشرين ومائتين ليعدوا في جملة من يؤخذ منه ويرعى له الذمة ، وكانوا قبلها يسمون الحنفاء والوثنية والحرانية(٣) » .

(١) ص ٣١٨ ـ الآثار الباقية عن القرون الخالية لأبي الريحان محمد البيروني . ليبزك ١٨٧٨

(٢) ص ٢١ م ٤ . Enc. of Islam (٣) ص ٣١٨ البيروني

اما الشهرستاني فيقول في الملل والنحل : « وفي اللغة صبا الرجل اذا مال وزاغ ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الانبياء قيل لهم صابئة(١) » .

ويتحقق ابن العبري من مذهب الصابئة ، فيرى ان دعوتهم هي دعوة الكلدانيين القدماء بعينها ، وقبلتهم القطب الشمالي(٢)

ومما يجدر بالذكر ان مدار مذهبهم على التعصب للروحانيين. ويفهم بالروحانيين ملائكة السماء . وهم يعتقدون ان للعالم فاطراً ويرون من الواجب عليهم معرفة العجز عن الوصول الى جلاله. فيتقربون اليه بالمتوسطات لديه ، وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهراً وفعلا وحالة(٣) .

فبالجوهر ، يعني ان الروحانيات من حيث جوهرها قد جبلت على الطهارة وفطرت على التقديس ، يتقرب اليها ويتكل عليها . فهي اربابهم وآلهتهم ووسائلهم وشفعاؤهم عند الله . وهو رب الارباب وإله الآلهة(٤) .

وبالفعل ، قالوا ان الروحانيات هم المتوسطون في تصريف الامور ، يستمدون القوة من الله ، ويفيضون الفيض على الموجودات السفلية . ومن هذه الروحانيات مدبرات الكواكب السبع السيارة . فالكواكب عندهم هيا كل الروحانيات ، لكل روحاني هيكل ، ولكل هيكل فلك ، وتكون نسبة الروحاني الى ذلك الهيكل « اي الكوكب » الذي اختص به ، كنسبة الروح الى الجسد(٥) .

واما حالة ، فاحوال الروحانيات في جوار رب الارباب لا يعصون الله ما امرهم(٦) .

(١) ص ٩٥ ج٢ ـ الملل والنحل للشهرستاني على هامش الفصل في الملل والنحل لابن حزم. الطبعة الاولى

(٢) ص ٢٦٦ تاريخ مختصر الدول لابن العبري . بيروت ١٨٩٠

(٣) ص ٩٥ ـ ص ٩٦ ج ٢ الشهرستاني

(٤) ص ٩٦ ج ٢ نفس المصدر (٥) ص ٩٧ ج ٢ نفس المصدر

(٦) ص ٩٨ ج ٢ نفس المصدر

وما دام لا بد للانسان من متوسط، ولا بد للمتوسط من ان يرى فيتوجه اليه، لذلك فزعوا الى الهياكل « يعني السيارات السبع » يتعرفون على منازلها ومطالعها ومغاربها وكل ما يتعلق بها من صفات وحركات، وسموها ارباباً آلهة ... فكانوا يتقربون اليها تقرباً من الروحانيات، ويتقربون الى الروحانيات تقرباً الى الله، لاعتقادهم بان الكواكب هياكل او ابدان الروحانيات(١) ولما كانت الهياكل تأفل فلا يرونها احياناً، لذلك اتخذوا اشخاصاً اصناماً على مثال الهياكل «الكواكب» السبعة... اذ لا بد لهم من صور واشخاص موجودة قائمة نصب اعينهم ليقدموا لها العبادات(٢) .

وهذا ما دعا البعض الى ان يفرق بين من عبد النجوم مباشرة وبين الذين عبدوا الاصنام التي تمثلها، والظاهر انهم كانوا مع الكواكب السبع «الشمس والقمر والزهرة والمشترى والمريخ وعطارد وزحل» البروج الاثني عشر. فقد كانوا يعيّدون لحلول السيارة بيوتها، وكذلك كلما استهل الهلال، وحلت الشمس برجاً من الابراج المذكورة(٣) .

معرفة العرب بالنجوم

والظاهر ايضاً ان الصابئين قد نقلوا عن اساتذتهم الكلدانيين علوم الفلك. فقد مر معنا ان مذهبهم كان عين مذهب الكلدانيين القدماء، اولئك «الذين كانت لهم عناية بارصاد الكواكب، وتحقيق بعلم اسرار الفلك ومعرفة مشهورة بطبائع النجوم واحكامها(٤) »

ولما كان عرب الجاهلية على اتصال بسكان المناطق المتاخمة، فليس بعيداً ان يكون شيء من علوم الفلك قد تسرب اليهم عن طريق الصابئة، وهم من عرفهم العرب منذ القدم، وكانت لهم فيما بعد نفس المنزلة التي كانت لأولي الكتاب، كما انه ليس عجيباً ان يندس شيء من عبادة النجوم بين تلك العلوم المتسربة.

ونرى من البديهي ان معرفة العرب للنجوم لم تكن منقولة بكاملها عن الصابئة او غيرهم، فقد كان لهم مذهبهم في الصور الفلكية ومواضعها من فلك البروج(١) . ويغالي ابن قتيبة فيزعم « ان العرب اعلم الامم بالكواكب ومطالعها ومساقطها(٢) ». ويجاريه بهذا الراي ابن رشيق الذي يقول ان العرب اعلم الناس بمنازل القمر وانوائها(٣) . والبيروني، بعد ان يرد على ابن قتيبة باسلوبه العلمي الرصين، يعترف بانه كان لهم ما لم يكن لغيرهم، وهو تخليدما عرفوه اوحدسوه حقاً كان او باطلا بالاشعار والاراجيز والاسجاع المتوارثة(٤) .

فاين، اذن، هذه الاشعار والاراجيز والاسجاع ؟ هذه الوثائق التي خلدت ـ على رأي ابي الريحان ـ ما عرفه العرب وما توصلوا اليه من علم الفلك والنجوم ؟ لقد ضاعت فيما ضاع من الاثار ولم يبق منها الا القليل القليل، ومن هذا القليل تتأكد من انه كان للعرب اقوال من الكواكب ومطالعها ومساقطها وصورها واسمائها وانوائها وما فيها في الامطار والرياح والحر والبرد، وامارات خصب الزمان وجدبه. وهم ـ على رأي القزويني ـ في اقوالهم اقرب الى الصدق من غيرهم(٥) . ولا عجب ان مارسوا هذه الامور فطبيعتهم الصحراوية مكشوفة الى النجوم التي يهتدون بها في اسفارهم وحلهم وترحالهم، ولقد جاء في الكتاب: « وبالنجم هم يهتدون(٦) ».

ومن ميزاتهم انهم اشتقوا اسماء الكواكب السبعة وغيرها من صفاتها كما نجد ذلك في معاجم اللغة(٧) . فالخنس الجواري الكنّس التي ذكرت في القرآن(٨) ـ وهي السيارة عدا

(١) ص ١٤٦ ـ ص ١٤٧ ج ٢ نفس المصدر
(٢) ص ١٤٨ ج ٢
(٣) ص ١٢ ابن العبري و ص ٢٢٤ ج ٢ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للالوسي. الطبعة الثانية ـ مصر ١٩٢٤
(٤) ص ٨٢ ابن العبري.
ويرى صروف في كتابه بسائط علم الفلك «طبعة المقتطف ١٩٢٣» ان اسماء البروج قد اقتبسها العرب عن اليونان، واليونان عن الكلدان. ويقول: «ولو اكتفى العرب باسمائهم القديمة على ما كان يعرفه اصحاب الأنواء، ما وجدنا شيئاً من المشابهة بين اسمائهم واسماء الصور السماوية المعروفة في وقتنا هذا» ص ١٠٤

(١) ص٣٨ عجائب المخلوقات للقزويني. جوتنجن ١٨٤٩ (٢) ص٢٣٨ البيروني (٣) ص ١٩٦ ج ٢ العمده لابن رشيق ـ مصر ١٩٢٥
(٤) ص٢٣٩ البيروني (٥) ص٤٢ القزويني (٦) القرآن الكريم سورة ١٦ آية ١٦ (٧) راجع ص ٣٨ ـ ص٣٩ ج ١ نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ـ دار الكتب ١٩٢٩
(٨) راجع القرآن الكريم س ٨١ آية ١٦

النيرين – انما سميت خنسا لانهـا تسير في البروج والمنازل كسير الشمس والقمر ، ثم تخنس اي ترجع ، بينما يرى احدها في آخر البروج ، واذا به يكر راجعاً الى الاول ، وسميت كنسا لانهـا تكنس اي تستتر كما تكنس الظباء(١) .

ولا ندري ما الذي ادى بالعرب وغيرهم الى تسمية الكواكب باسماء الحيوانات وغيرها من الاشياء الارضية ، فانا لا نرى ثمة جملا ولا ناقة ولا رجلا ولا امرأة مهما أمعنا النظر في ليلة ظلماء او قمراء(٢) ؟! يقول القزويني انهم سموها بهذه الاسماء لمعرفتها ومعرفة خواصها(٣) . ولربما كان ذلك راجعاً ايضاً الى ميل الانسان منذ البدء الى تشخيص ما فوق حواسه الخمس واحلاله محل الموجودات من انسان وحيوان ونبات وجماد ، تلك الاشياء التي تحفه من كل جانب . وقد مر معنا ان الصابئة انما شخصوا آلهتهم لتكون بينهم ونصب اعينهم حتى يتمكنوا من ان يقدموا لها ضروب العبادات . وكذلك القول في اصنام العرب . فلا بأس اذن ، من ان تكون تسمية الامم القديمة مجاميع الكواكب نوعاً من التشخيص المعنوي حتى يتمكنوا من تصورها في عقولهم .

ويظهر ان لصفات الكواكب المزعومة عند العرب اثراً في اشتقاق اسم ذاك الفرقد وتلك الكوكبة . ولنأخذ « الثريا » مثلا : زعموا ان في المطر عند نوئها الثروة(٤) فليس بعيداً ، اذن ، ان تكون مشتقة من الثراء ...وفي لسان العرب: «والثريا من الكواكب سميت لغزارة نوئها(٥) » .. وفي العمدة لابن رشيق : « سميت بهذا لان مطرها عنه تكون الثروة وكثرة العدد والغنى(٦) » .

وللنوء شبه صلة بعبادة العرب للنجوم وتعظيمها . وايمانهم بالانواء دعاهم الى الاعتقاد بأثرها في تصرفاتهم وحركاتهم وسكناتهم . وقد نسبوا ذلك الى الكواكب وقالوا ان التأثيرات متعلقة باجرام الكواكب وطلوعها وسقوطها(٧) ومن امثالهم « أخطأ نوؤك » يضرب لمن طلب حاجته فلم يقدر عليها . والنوء النجم يطلع او يسقط فيقال مطرنا بنوء كذا(١) . « فالنجم اذا سقط فما بين سقوطه الى سقوط التالي له هو نوء ، وذلك في ثلاثة عشر يوماً ، فما كان في هذه الثلاثة عشر يوماً من مطر او ريح او حر او برد فهو في نوء ذلك النجم الساقط(٢) » . فان سقط ولم يكن مطر قيل خوى نجم كذا وكذا(٣) ومنهم من يقول ان النوء على الحقيقة للطالع من الكواكب لا للغارب(٤) ومنهم من سمى تأثير الطلوع بارحاً وتاثير السقوط نوءاً . ولقد رجز بعضهم بحساب النوء فقال :

والدهر فاعلم كله ارباع ... لكل ربع واحد أسباع
وكل سبع لطلوع كوكب ... ونوء نجم ساقط في المغرب
ومن طلوع كل نجم يطلع ... الى طلوع ما يليه أربع
من الليالي ثم تسع تتبع(٥)

وينطبق هذا الرجز على حقيقة حساب النوء . جاء في العمدة: « السنة اربعة اجزاء ، لكل جزء منها سبعة انواء ، لكل نوء ثلاثة عشر يوماً ، الا نوء الجبهة فانه اربعة عشر يوماً(٦) » .
ولما كان لا نوء في طلوع « بنات نعش » وسقوطها شبه شاعر بها معشره ، وقد اراد هجوهم بان لا خير فيهم ، قال :

اولئك معشري كبنات نعش ... خوالف لا تنوء مع النجوم(٧)

ومن الانواء التي يعتبرها العرب شؤماً عليهم نوء «الدبران» ذلك الكوكب الاحمر المنير الذي خشيته العرب وتشاءمت به ، وزعمت انهم لا يمطرون بنوئه ، الا وسنتهم جدبة . ففي نوئه يشتد الحر وتهب السمائم . ومما قيل في طلوعه: «اذا طلع الدبران ، توقدت الحزان ، وكرهت النيران ، واستعرت الوثان، ويبست الغدران(٨) » . فلا غرابة اذا ضربت العرب بشؤمه المثل فقالت : اشأم من حادي النجم – وهو اسم آخر له(٩) –
وسنرى ان هذا الكوكب الذي استدبر الثريا لم يكتف بان خشيه العرب، بل عبده قوم منهم ، كما عبد آخرون غيره من الاجرام.
فالعرب ، كما رأينا ، كان لهم معرفة بالفلك ، وكانت هذه المعرفة متفاوتة بينهم « وقد قالوا ان اعلم العرب بالنجوم بنو

---

(١) ص ٩٥ أدب الكاتب لابن قتيبة – مصر ١٣٥٥
(٢) ص ٣٨٩ انوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ليبزك ١٨٤٦-١٨٤٨ (٣) ص ٢٩ القزويني
(٤) ص ٣٥ – ص ٣٦ القزويني
(٥) ص ١٢١ ج ٨ لسان العرب لابن منظور ١٣٠٠–١٣٠٧
(٦) ص ١٩٩ ج ٢ العمدة لابن رشيق (٧) ص ٣٣٨ البيروني

(١) ص ٢٠٢ ج ١ – الأمثال للميداني – المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٣١٢ (٢) ص ٤٢ القزويني
(٣) ص ٨٨ ادب الكاتب لابن قتيبة ، ص ٣٣٩ البيروني
(٤) ص ١٩٧ ج ٢ العمدة (٥) ص ٣٣٩ البيروني
(٦) ص ١٩٦ ج ٢ العمده (٧) ص ٢٤٢ البيروني
(٨) ص ٢٣٧ – ص ٢٣٨ ج ٣ الآلوسي
(٩) ص ٣٦ ، ص ٤٣ – ص ٤٤ القزويني

مارية بن كلب وبنو مرة بن همام بن شيبان(١) ». كما كانت عبادة النجوم عند قوم اشد منها عند آخرين .

الفصل الثاني

الزهرة

يرى

« أمير علي » في كتابه القيم « روح الاسلام » ان العرب قد عرفوا المذهبين الصابئي والمجوسي ، وقد اشار الى الحميريين بنوع خاص(٢) . وكذلك « هومل » في الموسوعة الاسلامية يرى - معتمداً على النقوش - انه كان لعبادة النجوم في ديانة عرب الجنوب مكانة عظيمة(٣) . غير ان هذه المكانة لم تكن مختصة بحمير وسبأ . فقد ذهب بعضهم الى ان ديانة العرب عموماً(٤) او حتى ديانة الساميين بكاملهم ، انما كانت بالكلية مرتكزة على عبادة الاجرام السماوية ولا يرى « نلدكه » ذلك ، وان اعترف بان العرب ، دونما ريب ، قد عبدوا الشمس وغيرها من الكواكب. كما عبدوا مؤلهات اخرى لا تفسر بانها قوى علوية(٥) .

وفي حديثنا عن العزى قلنا انها الزهرة . ومما ذكره « نلينو » معتمداً على « ولهوزن » اننا نستفيد من المؤلفين السريانيين واليونانيين من القرن الخامس والسادس المسيح ، ان بعض العرب المجاورين للشام والعراق كانوا يعبدونها عند ظهورها. وكانوا يسمونها اذ ذاك العزى(٦) . وكان « سمث » اوسع منهما تعميماً لعبادتها حيث يقول ان الكوكب « Venus » او « Lucifer » لم تكن الاهة قبيلة ، وانما - كما نعرف من مصادر عدة - كانت معبودة عرب الشمال باجمعهم(٧) .

وهنا ، وبهذه المناسبة ، نقول ان للكلدانيين درس السماء الاول . فقد زاولوا علم الهيئة قديماً ، ولم يسبقهم احد اليه . وكانوا قبل نجاحهم في علم الفلك نجاحاً يذكر مولعين بعلم التنجيم لكشف اسرار الغيب، وكانت هيا كلهم موضوعة للمراقبات مع العبادة ، ويكفيهم انهم اول من اوجدوا خريطة للاجرام السماوية(١) . ولا بد ان يكون اعتقادهم في الكواكب اساساً لدرس السماء ، وما فيه ، فهم قوم من قديم الدهر كانوا « يعبدون الكواكب ويزعمون انها هي المدبرة لهذا العالم ، ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة ، ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية(٢) ».

ولقد كشفت اعمال الحفر عن كثير من المباني الكلدانية التي ابقت الدهور على بقاياها ، واشهر هذه المباني باب عشتروت الذي كان مكرساً لهذه الالاهة . وهو البناء الوحيد في جميع بلاد بابل الذي تستحق بقاياه الذكر والاعجاب(٣) .. هذه الالاهة التي سماها الهنود مايا وبهافاني ، والفرس ميترا ، والفينيقيون عشتروت ، والاشوريون اناييتيس ، واليونان والرومان فينوس . واصطلح العرب على تسميتها بالزهرة ، وفي القبطية بادخت - ولها اسماء اخرى عديدة تختلف باختلاف الامم التي عرفتها - انما كانت « في الميثولوجيا من اشهر المعبودات وأقدمها لأنها إلاهة الجمال والحب، وكانت عبادتها قائمة باستباحة المنكرات وارتكاب القبائح الناشئة عن روح العشق في الطبيعة البشرية . ولذلك قد اشتهرت بعبادتها وانتشرت في اقطار الارض وشاعت بين الامم القديمة كل الشيوع ، وكانت كل الامم تقيم لها المعابد وتنحت لها التماثيل(٤) » . وسبق لبابل ان مثلتها «وهي عشتار الساميين(٥) » امرأة حسناء عارية، الا ان صورتها هذه لم تقتصر على بابل بل عمت العراق القديم وسوريا وفينيقية وفلسطين انها إلاهة الحب والفسق(٦)

ولا شك في تجاوز الزهرة الى اراضي هومر وفرجيل من السماء السامي بجمالها وما تمتلك من صفات الاغراء . فهي ايضاً كانت بين الرومان الاهة الحب ، والحب الشهواني خاصة(٧) . كما كان اليونان يمثلونها امرأة عريانة على صور شتى(٨) ويحتفلون بعيدها ليلا تحت اشجار الآس في ليالي الثلث الاول من شهر

---

(١) ص ٣٤١ البيروني

(٢) Ameer Ali : The Spirit of Islam, London 1923-XVI

(٣) ص ٣٧٩ م ١ Enc. of Islam

(٤) وقد ظن البعض - كما يقول المسعودي - ان البيت الحرام نفسه من البيوت التي خططت لعبادة الكواكب السيارة السبع « مروج الذهب - باريس ١٨٦١ ، ص ٤٧ ج ٤ »

(٥) ص ٦٦٠ م ١ Enc. Rel.

(٦) ص١٠٦ علم الفلك : تاريخه عند العرب في القرون الوسطى لنلينو « مصر ١٩١١ »

(٧) ص ٢٨٢ R. Smith: Religion of the Semites, London 1894

---

(١) راجع ص ٤٣ : النهج القويم في التاريخ القديم لهار في بورتر بيروت ١٨٨٤ ! ص ١٤٧ ، ص ١٤٨ : الصور القديمة لبراستد - المطبعة الأميركية بيروت ١٩٢٦

(٢) ص ٣٤٢ ، ص ٣٤٣ م ١ ، تفسير القرآن وغرائب الفرقان « على هامش تفسير الطبري » للنيسابوري

(٣) ص ١٤٦ ، ص ١٤٧ براستد

(٤) راجع ص ٢٨٥ م ٩ دائرة المعارف لبطرس البستاني - بيروت ١٨٧٦

(٥) راجع Lewis Specne F. R. A. I : Myths and Legends of Babylonia and Assyria—3nd Edition, 1928(p 136 and p235)

(٦) ص ٣٤ S. H. Langdon : The Mythology of all the World v. 5 (Semitic)

(٧) ص ١٢٣٩ ج٣ Smith : Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology, Boston 1859

(٨) ص ٩٦١ الياذة هوميروس لسليمان البستاني - مصر ١٩٠٤

نيسان(١) . فلا غرابة ، اذن ، في حمل الزهرة معاني البياض والحسن والبهجة عند العرب(٢) .وقد دعيت، كما سماها المنجمون بالسعد الاصغر ، لانها في السعادة دون المشتري ، واضافوا اليها الطرب والسرور واللهو(٣) . كما ان النظر اليها يوجب الفرح ، وتخفف عن الناظر اليها احياناً حرارات العشق اذا كان عاشقاً كما انها تثير غريزة الجنس . وهي عند الضجاع ، اذا كانت جيدة الحال ، اوقعت بين المتآلفين من شدة الحب ما يتعجب الناس منه ، وزعموا ان ذلك مجرب(٤) !! . ولقد صورها الفن الميثولوجي الفارسي في الاسلام حسناء تعزف على العود(٥) .

وجميل ما ذكره المفسرون بشأن كوكب الحسن او ملكة السماء ، فهي لا تقتصر فتنتها على بني الانسان ، بل تمكنت من اغراء الملائكة ، وبذلك نمر على نوع رائع من الميثولوجيا لا نشك انه عرف شيء، منه قبل الاسلام ، وان كان محتملا دخوله الى الجزيرة من اليهود عن طريق مباشر او غير مباشر(٦) .اما الحديث فسرده في تفسير الآية : « وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر ، وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت (٧) » . وتتلخص قصة فتنة الزهرة لهذين الملكين فيما يلي :

لما وقع الناس من بعد آدم في الضلال شرعت الملائكة تطعن في اعمالهم ، فاراد الله ان يبتلي الملائكة انفسهم، فامرهم باختيار ملكين من اعظم الملائكة علما وزهداً وديانة، فاختاروا هاروت وماروت، واهبطا الى الارض بعد ان ركبت بها شهوات الانس، وامرا ان يعبدا الله ولا يشركا به احداً ، ونهيا عن قتل النفس والزنا وشرب الخمر وغير ذلك من المعصيات .

وفي الارض عرضت لهما امرأة « وهي الزهرة وبالنبطية تسمى بيدخت » جميلة كالزهرة بين الكواكب ، فغلبت عليهما الشهوة فاقبلا عليها وراوداها ، فابت الا ان يكونا على امرها ودينها، واخرجت لهما صنما يعبدانه ويسجدان له . فامتنعاء وصبرا ردحاً ثم اتياها وراوداها على نفسها، فابت ثانية واشترطت عليهما احدى ثلاث : اما عبادة الصنم،او قتل النفس ، او شرب الخمر ، فقالا كل ذلك لا ينبغي . ثم احتدمت بهما الشهوة فأتيا اهون المطاليب ، وهو شرب الخمر . فسقتهما حتى اذا اخذت الخمر منهما وقعا بالزهرة ! وهنا يمر بهما انسان فيخشيان الفضيحة فيقتلانه! ويشا آن الصعود الى السماء بعد ان عرفا وقوعهما في الخطيئة فلا يستطيعان. ويكشف الغطاء بينهما وبين اهل السماء فتنظر الملائكة الى ما وقعا فيه من الذنب فيعجبون كل العجب ، ويأخذون بالاستغفار لمن في الارض من البشر !!

ويروى انها طلبت منهما تعليمها الكلام الذي يصعد به الى السماء فعلماها . وعرجت به الى السماء ... وهناك نسيت ما تنزل به فبقيت مكانها ، وجعلها الله ذلك الكوكب الجميل !!

واما هاروت وماروت فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا لانه ينقطع ، فجعلا ببابل يعذبان منكوسين في بئر الى يوم القيامة(١) .

هذه الميثولوجيا لم تكن غريبة قط عن عرب الجزيرة ، والا لماذا كان عبدالله بن عمر كلما رأى الزهرة لعنها وقال هذه التي فتنت هاروت وماروت(٣) . ومما يروي عن نافع قال : سافرت مع ابن عمر فلما كان آخر الليل قال يا نافع انظر..طلعت الحمراء . واعادها مرتين او ثلاثاً . ثم قلت قد طلعت ، فقال : لا مرحبا ولا اهلا!.. قلت سبحان الله نجم مسخر سميع مطيع! قال:ما قلت لك الا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم(٤) .

فمن هذا الحديث .. الا نستدل ، وقد تبين ان هذه الخرافة كانت معروفة للنبي - على ان هنالك بين عرب ما قبل الاسلام من كان يتداول قصصاً ميثولوجية ويعتقدها ؟ نعم ان لكل شعب عريق بالقدم - كالشعب العربي - ميثولوجيا خاصة ، وان كان لها اتصال رقيق او وثيق بميثولوجيا الشعوب القديمة الاخرى .

هذا ، وفي الكلام عن المقامات الدينية سنمر على صفات اخرى للزهرة او عزى العرب . هذه الالاهة المجدودة التي كان من حب العرب والآراميين لها ما جعلهم يكثرون من تقدمة القرابين البشرية ارضاء لها(٥) .

محمود الحوت

---

(١) ص ٢٨٧ ج ٩ دائرة المعارف للبستاني

(٢) راجع ص ٢٤٩ ج ٣ : تاج العروس للزبيدي - مصر ١٣٠٦ و ص ٤٢١ ج ٥ : لسان العرب

(٣) ص ٢٢ القزويني (٤) ص ٢٣ القزويني

(٥) ص ٥ Hackin andOthers:Asiatic Mythology,Edinburgh

(٦) ص ٧٦ ج ١ انوار التنزيل للبيضاوي

(٧) القرآن الكريم س ٢ آية ٩٦

---

(١) ص ٣٤٣ - ٣٤٦ ج ١ تفسير الطبري ، مصر ١٣١٠

(٢) ص ٣٤٦ - ص٣٤٧ ج ١ النيسابوري

(٣) ص ٣٤٥ ج١ تفسير الطبري (٤) ص ٣٤٦ ج١ تفسير الطبري

(٥) ص ٢٥ S. H. Langdon

أطمار ...

☆

إعصفي ما غدى ؟ !

كلُّ تلك الرؤى نسْجُ هذي اليدِ

أنا أملّت ـ يومها ـ أناواري قاربَ الليل في خليجِ النهارِ

فتعففت واطـرحتُ خِمـاري وتبرأتُ من مجـاعةِ عاري

لم تكنْ غيرَ ليلةٍ وضحاهـا الصباحُ الورديُّ حثَّ خطاها

هكذا ، وانزلقتُ في أطماري

عدتُ سيّجتُ بالخطيئةِ داري وعجنتُ الشموعَ من أقذاري

في الدهاليزِ تلكَ من أغواري

كلّ نعش يدقُّه مسماري ضـمَّ لي غادةً بغـير إزار

يرسمُ الليلُ ظلها وهواهـا بفـراشِ أطهارهُ أطـهاري

إعصفي ما غدى !

واشربي من يدي خمـرتي تهتـدي

لاحدَّ أشحذُ المُدى فوقَ أسنانِ مبرد

قـد تمشّت على يدي لعنةٌ أجفلتْ غـدي

بغداد

صفاء الحيدري

خطاب من جانب واحد



بقلم فؤاد طه

دفع صديقي الباب بعنف ، واندفع نحوي ، ثم القى الي بخطاب وهو يقول ـ اقرأ هذا ... وانظر كيف تلعب بنا الاقدار فاذهلتني مفاجأته وما بدا على وجهه من علامات الالم العميق والاسى المبرح، فتناولت الاوراق وقرأت.

اخي العزيز :

أرجو أن تغفر لي اقتحامي حياتك عليك ، دون التفات الى رغبتك في اثارة هذه الذكريات القديمة ، التي لن تمحو حوادثها الايام ـ من نفسي على الاقل ـ وان كان من الحمق ان اكتب لك بعد كل هذا الزمن ولكن ضاق صدري عن حمل ما بنفسي ، وقضيت إيامي اقاوم هذا الاعتراف ، واخيراً ها انا ذى اكتب اليك ، لعلي احسن من الكتابة راحة المعترف فافسح لي مجال العذر ، فما كان قد كان ، ولا اريد منك اليوم الا الرثاء والرحمة .

منذ بضعة أعوام ، جئتنا زائراً كعادتك كل حين، وتوجهنا تواً الى الشرفة ، حيث مكانك المختار ، بجوار الياسمين ، الذي تحب رائحته التي يعبق بها المكان، وتشعب بنا الحديث في مواضيع شتى ، حتى انتهينا الى موضوع الزواج ، وأخذتك الحماسة وانت تصف المثل العليا في الحياة الزوجية السعيدة ، ثم فاجأتني بطلب يدي ، وكان موقفي كمدرسة يبيح لي حرية الاختيار ، وجعلت تؤكد انه اختيار القلب والعقل معاً ، وأفضت وأسهبت ، ولم اكن مهيئة لمثل هذا الطلب المفاجىء. ولكني وجدتُ نفسي أوافق على طلبك مبدئياً ، وان طلبت امهالي للغد لافكر ملياً .

ظللت في مكاني بعد أن غادرتني ، وأوغل الليل، وشملتني الظلمة ، حتى أشرق القمر والقى ببعض نوره على مكانك الخالي فجعلت أستعيد صورتك ، متخيلة ما كانت تنطق به عيناك وانت تحدثني حديث المحب الواله لاول مرة ، علي استطيع ان اعرف حقيقة ما يعتمل في اعماق نفسك ، وأخذت تتوارد امامي صور عديدة من ماضينا الطويل ، ولا اخفي عنك الآن، انني طالما انتظرت ـ في بدء علاقتنا ـ ان يصدر منك ما يدل على هذا الحب ، ولكني لم أر نظرة الاعجاب الصريحة في عينيك كما كنت اراها في اعين الرجال ، وقد كنت مزهوة بجمالي اذ ذاك ، ورغم هذا فقد أهملتني وكنت لاهياً عني ، عابثاً مع الكثيرات ، وبمضي الزمن صار اعجابي الاول بشخصك شيئاً عادياً ، فقد اتاحت لي صداقتنا ان اعرفك عن قرب ، وألفت آراءك وحديثك ، وعرفت أهدافك وأمانيك ، وكانت دون مطامحي ، كنت أحلم بالزوج الذي يحقق ما تصبو اليه نفسي ، من مال وفير وجاه عريض ، وعدت اسائل نفسي عن حقيقة شعوري نحوك ، فما وجدت اني احس بغير عاطفة الصداقة البريئة ، التي صارت اليها علاقتنا ، فشعرت اذ ذاك بأني تورطت في التسرع بالموافقة المبدئية ، فاخذت تتجاذبني الهواجس وتستبد بي الافكار ، ومضى اليوم بطوله ، وانا من القلق لا استقر على حال ، احاول ان اجد عذراً ابرر به رفضي لطلبك دون ان اجرح شعورك ، حتى كان المساء ، ورأيت مظاهر اللهفة على وجهك بادية ـ وان حاولت ان تخفي ذلك ـ في ابتظار رأيي الاخير .

وقد أحسست ان رفضي لك كان قاسياً ، فاني لم اجد في النهاية بداً من ان اقرر لك في صراحة، حقيقة شعوري نحوك، واني لن اصل الى السعادة من الطريق المحدود الذي رسمته لحياتك ، واني أوثر صداقتك على الزواج بك ، فظهرت على وجهك شبح ابتسامة باهتة، تلاشت سريعاً ، ولم تزد على قولك انك تأمل ان اغير رأيي هذا يوماً ما .

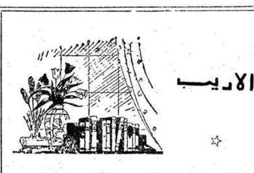
مضت الشهور ، وانت على عادتك من مداومة زيارتنا ، وقد سرني ذلك اول الامر ، وجعلت ارقب معاملتك لي بعد ان صرحت لي بحبك، ولكنك زدت تمسكاً بمظهر الجد والهدوء ولم يجر ذكر لموضوع الزواج على لسانك بعد ذلك اليوم ، وكنت تبتعد ـ كدأبك معي ـ عن كل حديث يدور حول

العواطف ، حتى لم اعد اسمع بعض كلمات الاعجاب التي كنت توجهها الي بين الحين والحين،وتناهى الى سمعي ما يدور حول انغماسك في حياة اللهو والعبث ، فأين بالله لسانك الطلق مع الاخريات ؟ فقد كنت خليقاً باذكاء عواطفي لو انك حاولت ، وتخليت عن بعض كبريائك التي تصطنعها معي ، آه...كم أمعنت في تجاهلي ..

وما دمت قد وقفت موقف المعترفة ، فليس هناك ما يمنعني من ان اقول انه اثناء غيابك عنا ، حينما انتدبت للعمل ببلد بعيد لمدة ثلاثة شهور،امتدت الى عام كامل، حدث خلاله ما حولني تحويلا شاملا ، فقد شاء القدر ان يلتقي في طريقي بزميل جديد ، كاحسن ما يكون الشباب مظهراً ، رقيقاً .. انيقاً .. مهذباً ..سرعان ما توطدت بيننا الصداقة ، وتهامست زميلاتي بقرب زواجنا ، حتى اشاع البعض ان الخطوبة قد تمت فعلا ، ووجدت نفسي أعدلهذا الغرض عدته كأن الامر أصبح حقيقة واقعة ، ولم تكن لي تجارب شخصية ، فحدث ما لا بد ان يحدث بعد ان قطعنا شوطاً بعيداً ، وبات كل منا شغوفاً بصاحبه ، اذ كاشفني في النهاية بانه ليس ممن يؤمنون بالزواج،ووجدت اخيراً انه انما كان يلعب بعواطفي،ويستخف بشعوري ، وان هذا المظهر البراق الذي خلبني كان يخفي تحته روحاً خبيثة .. خسيسة .. ولا يسعني الا أن اقول اني اصبت بخيبة أمل شديدة ، اصابتني في الصميم ، حتى زلزل كياني ، ووجدت والدتي سبيلا للسخرية مني ، بل والتشفي أيضاً،فقد كان مناها ان تراك زوجاً لي،وترى في رفضي لك تمادياً مني في الغرور،ومضت ترسل نصائحها باسلوبها اللاذع،فلم اجد الا العناد.

ولم يمض على عودتك سوى ايام ، حتى توفي والدي ، وأحاطت بي المشاكل ، وتعقدت اموري ، حتى رأيتك تأخذ بيدي ، وتقف بجانبي حامياً نصيراً ، واستطعت ان تستخلص حقوقي من غاصبيها، فاحسست مبلغ ضعفي ازاء قوتك،ومدى حاجتي لوجودك بجانبي ، فما عدت اركن في أمر الى سواك ، أو أثق بمن عداك وازداد تعلقي بك ، وعاد تصريحك بحبي يراود خيالي ، ووجدتك تشغل من تفكيري وقتاً طويلا ، وتكاد لا تبرح صورتك مخيلتي على الدوام وما ان اراك حتى اضطرب وارتبك وأبذل جهداً كبيراً كي اتمالك نفسي واسيطر

الاديب



☆

لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : ١٥٠ قرشا مصريا او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى

في الخارج : ١٤ جنيها مصريا او استرلينيا

او ٦٠ دولار كحد اعلى



المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ - ٩٢ / المنزل : ٣٧ - ٤٨ } Tél. { Direct.: 92 - 47 / Dcle. : 48 - 37 }

☆

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

على عواطفي ، وصرت أتـذرع باستشارتك في بعض اموري لاجد سبيلا لكثرة دعوتك، وما ان تحضر وتقضي في الامر برأي ، حتى تبادر مستأذناً في الانصراف كأنك اصبحت مجرد وكيل اعمال او مستشاراً فقط،وكثيراً ما كنت ألح عليك في قضاء السهرة معنا ـ انا وامي ـ وقد كانت تسر لمجلسك ، وكم كنت أحس السعادة اذا لبيت ، واظل طيلة الوقت ابحث عن الطريق الى مس اوتار قلبك ، دون ان أصل الى اثارتك ، وكان برودك يدفعني احيـاناً الى تعمد اهمال مؤانستك ، لاسخطك ، انتقاماً لما كان يملأ نفسي من غيظ لمعـاملتك الفاترة لي ، ولطول ما حاولت اجتذابك واصابني الاخفاق ، صرت اتخبط في تصرفي حيـالك ولست أدري ماذا يدفعني الان لذكر كل هذه التفاصيل ، ولعل في ذكرها تهدئة للوعة قلبي واطفاء لحرقة نفسي ، فانك كثيراً ما كنت تنصرف في زيارتنا ، وتنتحل الاعذار ، فيركبني الهم اذ اعتقد انك ما تغادرني الا لتلهو مع اخرى ، فيبعث ذلك الغيرة التي تأكل قلبي وتشعل النار بين ضلوعي .

وقامت معركة بين كبريائي وكبريائك ، وانا الانثى ـ ولي الحق كل الحق ـ ان اتمسك بهذه الكبرياء فقل لي ، ما الذي دعاك الى التمسك بكبريائك المقيتة ، انت يا رجل ؟ لقد شعرت كأنك أحسست ما اعاني وانك تدفعني بكبريائك الممقوت الى التخلي عن كرامة الانثى الاصيلة في نفسي ، وكأنك تبغي ان أبدأك ـ انا ـ بتسليم صريح ، تكفيراً عن ردي لطلبك،كأن كبرياءك عندك اعز من حبك ... ومضت الشهور على هـذا المنوال ولم تحرك ساكناً حينما طرح امـامك بحث موضوع ثرى الحرب الذي تقدم لخطبتي ، بل بادرت مهنئاً بما ستوفره لي هذه الزيجة ـ العجيبة ـ من اسبـاب الترف . واثارتني موافقتك ، وكأنك تعرف ما سيؤول اليه امر هذا الزواج ـ لو تم ـ اذ أبصرت على محياك سيماء تحديك وسخريتك .

ورأيت ان ابذل محاولة اخيرة ، فتظـاهرت بالقبول لتغيير موقفك ، فلما تماديت في عنادك لم اجد بداً من اعلان الرفض.

خسرت المعركة أخيراً،اذ تبينت اني كنت حمقاء مغرورة، وان كل ما قالت والدتي كان حقاً ، وعدت لا ارى في اهدافك وامانيك الا ما تصبو اليه نفسي ـ لو امكن تحقيقه ـ وادركت مقدار طيشي اذ جعلت المال هدفي ومقصدي .

وفي يوم لن انساه ، عزمت عزماً اكيداً ان اتقدم اليك واحطم كبريائي بين يديك ، معلنة هزيمتي ، بل معترفة بحبي ، وكنت جالسة بالحديقة مع والدتي ننتظر حضورك ، والشمس توشك على المغيب وحينما اقبلت علينا كنت أحس كأني مقدمة على أمر خطير ، فاخذت اروض نفسي واعدها للموقف الذي سأقفه منك بعد قليل،ولكنك بادرت ـ حين اخذت مجلسك ـ معلناً انك ستتقدم « الشبكة » في اليوم التالي، ولم اكن اتصور ان توجه الي هذه الطعنة المفـاجئة ، وكانت والدتي تهنئك وتتمنى لك حياة سعيدة في اللحظة التي كدت ان اصرخ فيها بانك ضللت الطريق ، واني انا التي تريدك وتهواك ، واركع تحت قدميك مستغفرة ، مستنجدة ان كان هذا يعيدك الي ، واقسم لو لم تكن امي بيننا لفعلت هذا واكثر ولكن شيئاً لا ادري ما هو اذهلني ... واحسست برأسي يدور ، وماتت الكلمات على شفتي، فلم اجد الى القول من سبيل،حتى مضيت.

وقضيت الليل مسهدة اذرف الدمع حسرة ولوعة..ليتك ترويت وتركت لي فرصة الكلام،وعندما اصبح الصباح كنت قد قررت ان ابذل آخر محاولة لأستعادتك ، ومر اليوم بطيئاً.. متثاقلا،وكنت احس اني اتحرك وسط ضباب كثيف،وشعرت بان النور الذي يضيء حياتي قد خبا ، ورجعت عن محاولتي ، فانك قد رضيت بالزواج من أخرى ، فماذا اقول لك ؟

وتمضي الايام وفورة الشباب تخمد في نفسي رويداً .. رويداً وغداً سيكون زفافي على أول طارق لبابي بعد ذهابك ، وقضي الامر ، وانتهى كل شيء ، وهـا انا ذي اختم رسالتي ، بان أدعو الله ان يحقق امانيك واذكرني بخير ان خطرت بفكرك ولتكن مشيئة الله في النهاية .

كان صديقي ـ عندما انتهيت من القراءة ـ لا يزال على حاله رائحاً غادياً في طول الغرفة وعرضها يهمهم ويخبط كفاً بكف، ولم استطع ان اقول له شيئاً في هذا الموقف الدقيق ، فقد كنت اعرف انه يحب هذه الفتاة منذ سنوات طويلة ، وكان يعتقد انها لا تبادله الحب .

الخرطوم فؤاد طه

بعد الوداع

للشاعر الايطالي الكبير جبرييل دانتزيو

ترجمها **محمد العيتاني**
من اسرة الجبل الملهم

كانت الطبيعة تترامى امامها في الابعاد، تحت اضواء باهرة تبعث الخيال، فتتراءى كمنظر انعكست عليه انوار الاحلام فابدت ما خفي من حناياه.. وكانت العربة المقفلة تندفع بهدوء، وحوافر الجياد تطرق الارض بوقعها الرتيب المتساوي فتمر جدران الدرات العتيقة وتبدو للعاشقين من خلال ستائر العربة، مائلة بلونها الى الابيض، وكأنها ترتعش طوع حركة عذبة، مستديمة، وكان يبدو من حين الى حين حاجز حديدي، وخلفه ممشى يظله العوسج المجنون المزدهر، او يظله سور من الخضرة مستدير، تناثرت في جوانبه التماثيل الاثرية، او باب مرتفع مكسو بالاوراق الناضرة، تضاحكه من هنا وهناك أشعة الشمس الشاحبة.

كانت هيلين صامتة، تغرق في معطفها الضافي، وتسدل على وجهها نقابها الشفاف، وتكسو يديها بقفازين من الجلد الانيق وكان أندريه يتنسم، بلذة عميقة، العبق النبيل الذي يتضوع من فروها الثمين الدافيء، وكان يحس كذلك بذراع هيلين وهي تلامس ذراعه وكأنها تتحدث اليها حديثاً خفياً، ها ان العاشقين وحيدان وكأنهما بعيدان عن عالم الناس ولكن لا تلبث ان تمر فجأة، عربة سوداء لاحد الاحبار، او فارس ينطلق في نزهة، او زمرة من الرهبان بمسوحهم البنفسجية، او قطيع من الثيران.

وقالت، على مسافة يسيرة من الجسر «لننزل».

وعلى الريف كان النور البارد الصافي يشبه مياه النبع. وهز الهواء الاشجار وموجها، فكأن هذه الهزة سرت في كل شيء.

وقالت وهي تلوذ بصدره وتطوقه بذراعها ملتصقة به متعثرة بين الحصى والنبات.

سأذهب هذا المساء... إنها آخر مرة...

ولزمت الصمت، ثم اتخذت اوضاعاً عدة تحدثت أثناءها عن ضرورة الذهاب، وضرورة الفراق والانفصال، وفي نبراتها رنة الاسى. وكانت الريح الثائرة تنزع الكلمات من شفتيها. وأرادت ان تستمر في الحديث. فقاطعها وهو يتناول يدها باحثاً باصابعه، تحت ازرار القفاز عن حرارة معصمها.

«اصمتي، اصمتي !»

وتقدما الى الامام، والعاصفة الوليدة تضرب ثوبيهما. وشعر اندريه بانه يدفن فجأة تحت قدمي هذه المرأة، وفي هذه العزلة العميقة الواجمة، وفي نفسه المرتعشة شموخ حياة حرة او فيض من القوة التي استحالت ضعفاً وذلا.

لا. لا. لا تذهبي اريدك ايضاً.. والى الابد.

وعرى معصمها، وتسللت يده الى ردنها، وراح يداعب ذراعها مداعبات قلقة ملؤها الرغبات..

ورمته بنظرة انتشى بها كما ينتشي بكأس الخمر، وكان الجسر على مقربة منهما الان يغرق في فيض من وهج ارجواني تسكبه الشمس. اما النهر فكان يبدو هادئاً صامتاً في كل منعرجاته وحنياته وكان القصب ينحني على الضفاف، والازهار ترمق السماء.

وحاول ان يحمل الى نفسها التأثر بالذكريات. وراح يتحدث اليها عن القبل الاولى والمواعيد العذراء وعن حفلة الرقص في قصر «فارنيز» وعن رحلات الصيد في البراري وعن لحظات اللقاء الصباحية في ساحة «اسبانيا» امام واجهات الصاغة، او في شارع «السيكستين» الارستقراطي الهادىء حين كانت تخرج من قصر «الباربريني» تتبعها البائعات يلقين اليها باضاميم الازهار في السلال.

أتذكرين كل هذا... أتذكرين ؟ - اجل.

ـ وسهرة الازهار ، في البدء ، حين زرتك ومعي تلك الازهار كلها.. كنت وحدك امام النافذة وكنت تقرأين. اتذكرين
ـ أجل . اجل .
ـ دخلت ، والتفت إنت لفتة يسيرة ، ثم استقبلتني بجفاف وقساوة : لماذا ؟ لا أدري : وضعت سلة الازهار على الطاولة وانتظرت . وتحدثت في البداية عن اشياء تافهة ، بلا إرادة ولا لذة . وكنت اقول في نفسي يأساً : «لم تعد تحبني. ولكن الشذى كان عميقاً فملأ الغرفة كلها . لا زلت أتصورك حتى الآن ، حين تقدمت من باقة الازهار ، وامسكت بها بكلتا يديك وغرّقت فيها محياك الجميل ، تنشقين فوحها العاطر . ورفعت وجهك من الازهار وبدت عيناك غارقتين في نشوة مستعرة .

قالت هيلين هامسة بصوتها الناعم ، وهي تطل على النهر ، وكأن خرير المياه قد سحرها : ـ استمر في الحديث ، استمر .

ـ ثم على الديوان ، أتذكرين ؟ مددتك وفرشت الازهار فغطيت بها صدرك وذراعيك ومحياك . وكنت تنهضين بعد كل لحظة ، لتقدمي إلي ثغرك وجيدك ، واجفانك . وكنت احس بين محاسنك وثغري بتلات الورد الباردة الرخوة ، وكنت ترتعشين إذا قبلت جيدك من قدميك الى شعرك رعشة واحدة عنيفة وتمدين يديك لتبعديني عنك : آه ، عندها ، كان رأسك غارقاً بين الوسائد ، وصدرك مختفياً تحت الازهار وذراعاك عاريتين حتى المنكبين ولم يكن في الوجود احب من منظرك ولا الطف من ارتعاش يديك الشاحبتين على مفرقي ، أتذكرين .

ـ أجل . استمر !

وتابع وهو يخضع أكثر فاكثر لموجة من الحنان. لقد اسكرته كلماته نفسها فلم يعد يعي ما يقول. وكانت هيلين وهي تدير ظهرها الى النور ، تنحني عليه شيئاً فشيئاً . ومن خلال غلائل الثياب كانا يشعران بجسديهما يتلامسان بغموض . وتحتها كانت مياه النهر تتدفق مندفعة ببطئة باردة . وكانت الاقصاب الطويلة الشاحبة تنحني كالشعر المتموج في الهواء ، وتلامس المياه بعد كل عصفة ثم لزما الصمت. ولكن كان في نظراتها وآذانها هذا النهر الهادر المستمر ، كأنه حبها الذي ملأ وجودها وحملها الى الشاطئ بعيداً .

وانتفضت هيلين وقالت : هيا بنا ، لنذهب ، لقد ظمئت ، اين نجد الماء ؟

ويمما شطر فندق وراء الجسر . وكان الحوذيون يفكون الجياد من العربات وسط الشتائم الصاخبة والغروب يفيض النور على زمرة الجياد والرجال ...

لم تبد على اهل الفندق أية دهشة لدخول الزائرين ، وكان هناك اربعة اشخاص يصطلون حول النار مرتعشين من الحمى وعلى وجوههم كآبة عميقة وفي الزاوية راع شاب احمر الشعر ينام وفي فمه غليونه المنطفيء . وجاءت صاحبة الفندق وهي امرأة ضخمة الجثة تحمل على يدها طفلا تربت على صدره لينام .

كانت هيلين تشرب في كأس غليظة حين تقدمت منها المرأة ، شاكية مبدية لها الطفل : انظري يا سيدتي . انظري يا سيدتي .

كانت اعضاء الطفل معروقة هزيلة تثير الشفقة وكان يشوب شفتيه الزرقاوين بعض اللطخات البيض . وكأن الحياة قد فارقت هذا الجسد الصغير ولم تخلف فيه الا مادة ينخرها العفن .

جسي يا سيدتي يديه وانظري كم هما باردتان ، إنه لم يعد يقوى على الشرب ولا البلع ولا النوم ...

واغرقت المرأة في البكاء ، ونظر المحمومون بعيون ملؤها الأسى والذل . ونشرت صرخات الطفل وحشرجاته في جو المكان شعوراً غريباً ثقيلا . فرمى اندره على الطاولة قطعة من النقود وأمسك بذراع هيلين ودعاها الى الخروج متلهفاً :

« تعالي ، تعالي ! »

وقادها الى الخارج وسارا معاً الى الجسر . وكان مجرى «الانيو» يشتعل بنيران المساء . وفي الابعاد كانت المياه تتخذ لوناً بنياً داكناً ولكنها تلتمع ببريق يخطف الابصار . وكان الريف ، بوهاده واوديته ، يشبه محيطاً من الخرائب والآثار ، ويكتسي بلون بنفسجي غامض يمحو الاشكال . اما فوق «روما» فكانت السماء أشد احمراراً

همست هيلين وفي صوتها رنة عطف عميق « مسكينة تلك المخلوقة ! » ولاذت بذراع اندره .

وجنت الريح جنونها ومرت في الجو الاحمر المشتعل عصائب مسرعة من الغربان كانت تمر عالياً جداً وهي تنعب .

وعندها فجأة ، وعند مشهد هذه العزلة ، سيطر على نفسيهما نوع من الانفعال العاطفي الشديد . وسرى الى حبها شيء فيه بطولة وفيه مأساة . والتهبت ذرى حبها تحت ألسنة هذا الغروب الصاخب المشع . وتوقفت هيلين لاهثة وقالت :

« لم تعد لي قدرة على السير »

كانت العربة بعيدة ساكنة حيث تركها العاشقان .

ـ بعد برهة وجيزة يا هيلين ، برهة فحسب اتريدين ان أحملك ؟

ودفعته موجة عاطفية لا تغلب فاطلق للسانه العنان : لماذا تريدين السفر ؟ ولماذا تحطمين السحر حولنا ألم يرتبط مصيرك بمصيري ارتباطاً وثيقاً خالداً ؟ انا في حاجة اليك لاحيا . انا في حاجة الى

عينيك وصوتك وافكارك. لقد غمرني هذا الحب وضمخ وجودي كله. لقد احرق دمي كله كأنه السم الذي لا دواء له. ولماذا تهربين؟ إنني سأتبعك وازهق انفاسك العاطرة على صدري الطعين. لا! مستحيل مستحيل.

كانت هيلين تصغي اليه حانية الرأس تصارع الريح دون ان تجيب وبعد دقائق رفعت ذراعها تشير الى الحوذي بالاقتراب وصهل الجوادان. وقالت وهي تصعد الى العربة مع اندره:

« قف بنا عند باب بيوس »

وبحركة مفاجئة استسلمت لرغبة عشيقها الذي راح يقبل ثغرها وجبينها وشعرها وعينيها وعنقها. كان يقبلها بلهفة جائعة وسرعة دون ان يتنفس: « هيلين، هيلين »

ونفذت الى العربة اضواء وهاجة تعكسها منازل بلون القرميد وعلى الطريق كان يدنو منهم وقع حوافر كثيرة...

وانحنت هيلين على منكب حبيبها بحنان ملؤه الرقة والخضوع وقالت: الوداع يا حبيبي. الوداع. الوداع.

لزم اندره الصمت العميق، واحس الان بنفسه تغوص في اعياء لا ينتهي. لقد هدأت انتفاضة الثورة في عروقه وها ان طفولة ضعفه الطبيعي توحي اليه بالرغبة في البكاء، إنه يتمنى الان لو جثا وهان وصلى وأثرت دموعه في نفس هذه المرأة الجميلة، وسرعان ما احس بالدوار احساساً غامضاً منفتحاً نحو الافاق الوسيعة. وشعر بالبرد يكبل عنقه وينفذ الى جذور شعره.

ورددت هيلين قائلة: الوداع.

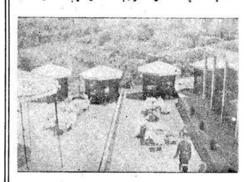
وبدا باب بيوس فتوقفت العربة تحت قوسه وكان على اندره ان يترجل.

هذا الوداع الذي ارادته هيلين في العربة لم يلق نوراً على الشكوك التي كانت تؤرق نفس اندره الحائرة « فما هي الاسباب الخفية لهذا الرحيل المفاجيء؟ » كان يحاول عبثاً أن ينفذ الى اعماق السر. لقد كانت الشكوك ترزح عليه باثقالها.

وفي الايام الاولى بلغ من فتكات الالم والرغبة في نفسه مبلغاً خيل اليه وهو يعانيها انه مقبل على الموت وكانت الغيرة، وقد لاشاها في اول الامر استسلام هيلين اليه وقبلاتها النارية المستعرة، تعود الان فتنبعث في نفسه خيالات سافلة دنسة. ان شكه بوجود رجل آخر وراء هذه المشكلة المظلمة قاده الى اقسى لحظات العذاب. وكان يحس احياناً في نفسه بغضب حقير على الحبيبة البعيدة، ويحس عليها في نفسه حقداً مراً، ونوعاً من الرغبة في الانتقام والتشفي كأنما سحرته وخانته لترتمي في احضان عشيق آخر. وفي بعض الاحيان كان يظن انه لم يعد يشتهيها، او يحبها، بل انه لم يسبق له ان احبها في الايام الغابرة.

ولم يكن بالشيء الجديد عليه ان يرى شعوراً يتحول في قلبه فيختلف بين الحب والبغض ويتأرجح بين اللعنة والصلاة بل انه يذكر انه رقص ذات ليلة حتى الصباح واشترك في حفلة راقصة صاخبة وكانت دموع حبيبته هيلين لا تزال على شفتيه وكان نحيبها الطويل يتجاوب في نفسه مع رعشات الاضواء، وهبات العطور وجفيف الثلوج الهاطلة على الريف الروماني. ولكن لحظات النسيان هذه ما كانت في الماضي تطول. اما اليوم فقد عششت في حنايا نفسه الهاجعة الكئيبة فكاد يجن. وكاد ينطفيء.

ولكن الربيع ازدهر في ضواحي روما ناشراً الفرح الخالد في كل مكان. وراحت المدينة، برخامها الابيض وقرميدها الارجواني تمتص الضياء من ثغر السماء كأنها الغابة العطشى. وانتصبت الينابيع في جنائن « الباباوات » في سماء اصفى من الجواهر. وطغا الشذى على ساحة « اسبانيا » فاصبحت وكأنها



جنة ورد وبدت محلة «الترنيتي دي مون» في اعلى الدرج العريض الزاخر بالاطفال كأنها قبة من الذهب .

ان كل ما بقي من حب هيلين في دمه وروحه اخذ الان مع ما يثيره في نفسه جمال روما هذا الجديد ، ينبعث ويحيا ويشتد. وكان يرهقه في اعماق نفسه مشاعر من القلق الغلاب وهزات نفسية عنيفة صاخبة ولحظات من الذبول والاسترخاء وكأنه يولد مع هذا الربيع مولوداً آخر .

وفي احدى الامسيات ، عند آل « بولسيبانو » بعد تناول الشاي بقي اندره آخر المدعوين في الصالون المليء بالازهار حيث لا زالت تهتز في جوه الانيق قطعة من موسيقى « راف » في تلك اللحظة غازل اندره بلانش احدى سيدات الطبقة الراقية فلم يندم لا في ذلك المساء ولا بعد ذلك المساء .

كانت مغامرته مع هيلين قد اكسبته ، بدعة وهيبة في نظر النساء ، فاكتسى حلة من العظمة حببته الى نفوسهن ولم تلبث انتصاراته ان اتخذت ، بعدوى الرغبات ، مظهراً مجيداً واسعاً . ثم إن صيته الذائع كفنان غريب الاطوار كان يخدمه في هذا السبيل ، وكان قد كتب على مجموعة الاميرة « فيراتينو » مقطعين من الشعر سرعان ما ذاع امرها وبلغا من الشهرة مبلغاً عظيما وقد خصص هذين المقطعين لوصف الثغور ففي اولهما يمجد ثغراً شيطانياً وفي الثاني ثغراً ملائكياً . احدهما يحمل الارواح الى الضلال والاخر يقودها الى الصلاة .

استجاب اندره الى دعوة بلانش دون تردد . فحل ذلك التركيز الذي احدثته هيلين في نفسه والمجتمع كله حولها . كان يحس الان في نفسه نوعاً من التبديد ، وقواه التي كانت تجمعها روابط من نار الحب وتركزها في جذوة واحدة ، عادت الان الى فوضاها السالفة . وروحه المشعة المتحولة المتموجة المتسامية نحو الخيال والمثالية ، لم تعد تقوى على ان تخضع او تأتلف او تنصب في حب متسام منتصر راحت الان تتحول وتفقد شكلها الموحد الأول لتتخذ الاشكال جميعاً . وهكذا كان يمر من حب الى حب بيسر لا يصدق . وكان يحتضن جملة من العلاقات دفعة واحدة . ودون ان يطرف له جفن او يحس بخلجة ندم ، كان ينسج شركاً واسعاً من الأكاذيب والخداع والاوهام ليوقع أكبر عدد من الضحايا ، وران عادة الخداع على ضميره وكسته طبقة رقيقة من اعشاب الرذيلة . ولكن كان في اعماق نفسه غريزة حية رابضة ، رابضة لا ترحم ومنها كان يستفيق حبه القديم

لاعناً كل رغبة سواه تجذب « اندره » دون ان تمتلكه وتسيطر عليه ولكن ارادته كانت كالسيف المغلول تتدلى من احشائه السكرى الجامدة وتقطر دماء .

ولكن ذكرى هيلين كانت تلم به فجأة فتملأ قلبه ، وعند ذلك كان يجهد ليتجنب احزان الذكرى أو يجد ، على العكس ، لذته النشوى في ان يعيش من جديد بخياله المستهتر المتهور ، لحظات ذلك الحب البعيد وان يجد فيه الدافع الى حب جديد ، ومحاولات تحفل بالاغراء وبلذة لا تدانيها لذة كان يستعيد كلمات «لايد» : اذكر الايام التي انطفأت ، وضع على شفتي المعشوقة الثانية قبلا اجمل من تلك التي كنت تضعها على ثغر العشيقة الاولى منذ امد قصير .

ولكن الثانية كانت قد سقطت ايضاً على طريق الحب بعيداً عن روح « اندره » لقد طارحها الحب في مطلع الامر دون ان يفكر فيما يفعل . لانه كان واقعاً تحت تأثير انعكاس ساحر ولان هذه المرأة كانت صديقة هيلين . وقد تكون بذرة الحب بدأت تتحرك نحو النور في اعماق قلبه حين التقى بالكونتيس الفلورانسية في مأدبة آل دوريا ، وانه لمن اصعب الامور وادقها عن التعبير ، ان يبين الانسان كيف ان احتكاكاً معيناً ، روحياً او جسمياً ، يستفحل امره ويتطور تطوراً عجيباً خفياً ، بين رجل وامرأة ليبعث في روحيهما بعد ذلك شعوراً مستكناً ، غير ملحوظ يدوي فجأة في جنبات النفس حين تدعوه الظروف الى الظهور .

كانت بلانش المثل الاعلى للجمال الفلورانسي كما عبر عنه المصور « غير لانجو » في لوحة « جان تورنابيوني » المحفوظة في متحف « سانت ماري نوفيل » كان محياها نيراً بيضاوياً ، وجبهتها واسعة مرتفعة ساذجة ، وثغرها مقوساً دقيق وعيناها نجلاوان وفي اعماقها خور ساحر عجيب . وكانت تهوى ان ترخي شعرها ذوائب تتدلى عن عارضيها حتى منتصف خديها ، وكان اسمها ينسجم مع جمالها . وكانت تحمل الى المجتمعات الراقية التي تغشاها طيبة طبيعية ، وتسامحاً عظيما ولطفاً يشتمل الجميع . وحديثاً عذب الايقاع . وخلاصة امرها انها كانت من تلك النساء ذوات اللطف الخاليات من العمق والذكاء الحاد وكأنهن قد وجدن ليعشن في مرح وحبور ، وتهدهدهن قبلات حب خفية كالعصافير الجاثمة على الاغصان المزهرة .

وحين طرقت اذني بلانش كلمات اندره المرتعشة بالحب ، هتفت بدهشة مسحورة « وهيلين ... أنسيت هيلين بهذه السرعة؟! » ثم طاب لها ان تستسلم ، بعد ايام من التردد الحبيب . وكثيراً

ما كانت تتحدث عن هيلين الى الخائن الشاب ، بسذاجة ودون غيرة ، وسألته يوماً وهي تبتسم ـ «ولكن كيف ذهبت في هذه السنة قبل ميعادها »

فاجاب اندره دون ان يخفي مللِه وامتعاضه ـ لا أدري .

ـ إذن لقد إنتهى كل شيء ، انتهى ؟

فقاطعها أندره بصوت أجش : ـ أرجوك يا بلانش ، فلنتحدث عن امورنا الخاصة . واضطرب اندره وغضب .

وظلت برهة صامتة وهي تحلم وكأنها تحاول ان تفهم لغزاً . ثم ابتسمت وهي تهز راسها كمن يرفض فكرة معينة ، وفي عينيها ظل هائم ، لحزن غريب . وقالت « هكذا هو الحب » .

واستجابت لقبل اندره وبادلته العناق .

وامتلكها وكأنه يمتلك جميع النساء الفلورانسيات الجميلات .

***

والقى الصيف رحاله على الروابي وفي بطون الاودية الايطالية وارادت بلانش ان تهجر روما ، فقالت لحبيبها ساعة الوداع دون ان تخفي تأثرها العذب العميق : «حين نلتقي من جديد ساجد قلبك خاضعاً لحب غير حي . وانا اعلم هذا ، وهكذا هو الحب ولكن احتفظ في قلبك ـ على الاقل ـ بذكرى صديقة » .

وعرف اندره انه ما كان يحبها . ولكنه كان يستعيد ، في تلك النهارات الثقيلة المملة ، بعض اصداء متناغمة من صوتها الموسيقي العذب ، كان صوتها يعود الى نفسه كما ترن القافية بسحرها الرنان في اذن الشاعر فتوحي الى اندره بصورة حديقة تعبق بالطراوات والينابيع الدافقة ، حيث يرى بلانش تتنزه في صحبة نساء جميلات اخر ، وهي تترنم بالالحان السماوية .

وغابت بلانش ، وتلاشت من نفسه . وحلت محلها نساء كثيرات اثنتان دفعة واحدة احياناً : «باربارا يلا فيتي» ذات الرأس الاسطوري الجميل الذي يشبه تلك الأروس الجميلة التي يرمها اوفرونيوس في اعماق الكؤوس . والكونتيسه ليكولي بعينها الواسعتين العجيبتين يملأهما الغدر وتتغيران كمياه البحر في الخريف ، بلون بني ، ازرق ، اخضر من الصعب التعبير عنه . وليليان « تيد » سيدة انكليزية في الثانية والعشرين من العمر ، المتلألئة بذلك المزيج الغريب من النور والورد والصفاء ، وهو نوع من الجمال خصت به فتيات الاسر الانكليزية النبيلة كتلك التي صورها « رينولدز » و « غينزبورو »

والماركيزة ده شوني المحتفظة بجمال العهود النابليونية وكأنها مدام ريكاميه بوجهها البيضاوي المستطيل الناصع ، وجيدها الفارع ونهديها المشرئبين وذراعيها الناضحين باشهى نداء . والدونا ايزوتا سيلبزي السيدة التي تهوى ان ترى الزمرد في يديها دائماً ، والتي تستدير بجلال صامت ومحيا يشبه محيا الامبراطورة ، والاميرة «كاليودا» المرأة التي تقتصد في زينتها وتخفي وراء منظر اعضائها الدقيقة الناعمة ، اعصاباً فولاذية قدت للذة ، ووراء محاجرها الهادئة التي تشبه نعومة الشمع ، تنظر من عينين مفترستين كعين اللبوءة .

كانت كل مغامرة من هذه المغامرات تنزل باندره درجة نحو الاسفل وتسكره بنشوة جديدة رديئة دون ان تروي ظمأه الى الحب . وكان يتعلم مع كل مغامرة من هذه المغامرات تفاصيل جديدة عن الرذيلة ، كان يجهلها . وهكذا علم انه يحتفظ في نفسه ببذور الحقارات كلها ، فحامل الفساد الى الناس كان يحس بالفساد يتسرب اليه شيئاً فشيئاً . والكذب يتشابك حول نفسه كمادة لزجة باردة تشتد اصابعها على الايام مناعة واسراً . وكانت غواياته المختلفة تدفعه ليلتمس عند عشيقاته ، ويتعهد بالسقيا ، كل ما هو وضيع ينبو عن الصفاء . وكان يدفعه نوع من الفضول السافل ليختار عشيقاته بين اسوأ النساء سمعة وأحطهن سيرة . وكان ايضاً يدفعه شغف عنيف ليغري اشرف النساء واتقاهن حياة . و بين ذراعي إحداهن كان يتذوق قبل الاخرى .

واحياناً ـ وكان هذا خاصة عند إعلان زواج هيلين الجديد باللورد همفري هيثفلد ذلك الزواج الذي نكأ في قلبه جرحه القديم ـ كان يروق له ان يستبدل بعري المرأة الراهنة عري هيلين الاحلام فيعتمد الشكل الملموس مرتكزاً الى رغبته المثالية المنشودة وكان يغذي في نفسه خيالات كهذه بقوة بلغ من حرارتها واستعارها أنه كان يخيل اليه احياناً امتلاك هيلين حقيقة لا ظلا .

ولكن هذا لا يعني انه كان يقدس ذكريات سعادته الماضية . بل ان هذه الذكريات نفسها كانت تتيح له الوسائل لمغامرات جديدة ، كما حدث في متحف « بورغيز » وفي قاعة المرايا الشهيرة تلك التي تحفظ على اديمها اخلص ذكريات حبه ـ هناك التقى ليليان تيد وسمع من شفتيها الوعد الاول ، وفي دارة مديتشي ، في الدرجات التذكارية المؤدية الى البلفدير تخللت اصابعه اصابع انجليكا ده شوني .

مركب نشوان مات ربانه المنقذ ، فهام الى العواصف والغروب ممزق الشراع ، يحف به الموت والجنون .

محمد عيتاني

الافــاق

☆

سكتتْ وادركها الصباح ، وعاد للمقهى الحزين
كالسائل المحروم ، كالحلزون
ينتظر المساء
وغداً ستوصد بابها في وجهه، ويعود للمقهى الحزين
ولا يعود
كالسائل المحروم ينتظر المساء
ولربما سيقول عنه الآخرون ـ ويهزأون
من سره المدفون ... ـ
: « أفاق لئيم ! »
ويضحكون ويوصدون
ابوابهم في وجهه ، ويعود للمقهى الحزين
كالبيدق المخذول
كالحلزون يحلم بالمراعي والحقول
بالشمس تجنح للافول وبالفيافي الموحشات وبالرحيل
ونبي قريته وصوت «العمدة» القاسي النحيل*
وبالسنابل والربيع
. . . . ورضيع جارته الوديع
ويستفيق

* نبي القرية : الفلاح

على صدى مذياع مقهاهُ الحزين
يعلو ويعلو فوق صوت الآخرين
: « من آخر البستان بل من آخر الدنيا أتينا ! »
فوق صوت الآخرين
وفي الطريق
البرد والعربات والليل الطويل
ومنازل الموتى وشحاذٌ هزيل
ونوافذ بيضٌ منوّرة وآلاف النجوم
تخبو وطائرة تحوم
ويعود يحلم بالمراعي والحقول
كالبيدق المخذول ، كالحلزون
يحلم بالحقول
ويستفيق
على صدى مذياع مقهاهُ الحزين
يعلو ويعلو فوق صوت الآخرين
: « الفجر ـ رغم تمائم الموتى ـ قريب »
وفي الطريق
الليل والعربات والفجر القريب
ويعود يحلم بالفيافي والسماء
وبالمساء وباللقاء
وبقهقهات الآخرين
والباب يُوصد دونه والبرد والمقهى الحزين
وبالسعال تسحه رئتاه والدم والظلال
وبالرجال الضائعين
يتشاجرون ويضحكون ويوصدون
أبوابهم في وجهه ، ويعود للمقهى الحزين
ولا يعود
... كالسائل المحروم ينتظر المساء ...

بغداد — **عبد الوهاب البياتي**

افتحى البـاب

بقلم محمد صالح ابراهيم

لم يدرك من امره شيئاً* سوى أنه عائد من المكان الذي يذهب اليه كل يوم ، ويرى فيه كل شيء، الى هذا الزقاق الذي يمشي فيه ولا يرى فيه شيئاً . ذلك المكان الهادىء إلا من ضحكات ناعمة خليعة ، وأضواء ساطعة منعكسة على قوارير ملاء وفراغ..وهذا الزقاق من بنيات الطريق تنعقد في جنباته رهبة وسكون ، وكأنه اخدود في الظلام ..

ومع ذلك فهو يحس بنشوة الظفر تسري في أعصابه وتتراقص على شفتيه ، وتدنيه من هدفه الذي لا يراه .

ولم يكن يلقي بالا لهذا الدجى ؛ فانه لا يدرك أماش هو على رجليه أم مكب على وجهه . وانما كان يدرك تماماً أن رأسه أشبه بشيء يطفو بعيداً عنه فوق امواج من الظلام ..

***

تعود سرحان افندي قضاء الليل في مجلس الشراب، والعودة الى داره مع الفجر، حتى أصبحت هذه العادة طبيعة. وكان لهذا أثره السيء في نفس زوجه الشابة . فانكرته عليه مرة ومرة على غير جدوى. ولولا هذا الحرص في نفسها الحرة على الصبر واحتمال المكروه من زوجها لكان لها في أمرها منه شأن آخر . فاخذت تروض نفسها على هذه الحياة التي أظلمت بوجهها ، وأصبحت جحيماً لا يطاق . وما عليها في ذلك ما دامت نفسها مستريضة؟. ولكن لله فوق مشيئة العباد مشيئة . فقدر للزوج العربيد ان يضع حداً لهذه العربدة ، وللزوج الصابرة ان تظفر بالخلاص من ذلك الجحيم. فاصبح سرحان افندي بالبشرى يزفها الى زوجه لقد عزم على الاقلاع عن عادته، على ان يكون ذلك بالتدريج . وانه سيعود الى داره في منتصف الليل على الاكثر . ولكي يؤكد لها صدق عزمه أقسم بالطلاق انه سوف يفي بوعده من الليلة .. وقال لها وهي تودعه على الباب بابتسامة رقيقة :

ـ ألم تغيري رأيك ؟

وأشار بيده الى باب المنزل المواجه ! واستطرد قائلا :

ـ فما معنى أنك تتشبثين بالبقاء في هذه الدار العتيقة في حين ان داراً اخرى امامنا افضل واحسن تنتظرنا ؟ انظري .. هل كتبت تلك الرقعة لاحد سوانا ؟

فردت عليه وهي تنظر الى الرقعة الملصقة على الباب المواجه:

ـ اجل ! دعني افكر .

***

وعندما ضمه مجلس الشراب في اول الليل ، كان دائم النظر الى ساعة كبيرة على الحائط . وهو يعب الخمر عباً ، مستحثا نفسه على الشراب دون تريث . فقد كان حريصاً على الوفاء بقسمه ، كما كان حريصاً على الوفاء للخمر. بيد أنه فيما مضى كان يشرب الخمر رشفاً كما يشرب الحساء . لا يهمه منها ما يهمه من مشاركة النديم والنديمة في المرح والمزاح والايناس . أما الليلة فلم يعد هناك وقت لمرح او مزاح او إيناس. فما ان اقتربت الساعة حتى شعر بحراق في القلب ، وحماطة في الحلق . وأحس بانه في عالم آخر يكتنفه الغموض .

وعندما خرج من مجلس الشراب كانت تداعب أضواء الطريق عينيه في قسوة . وتغلي في صدره مراجل الحقد على هذه الفتاة الماجنة العابثة التي صفعته أمام الناس . ومع انه لم يمض على هذا الحادث في مجلس الشراب غير لحظات، فهو يتصوره حادثاً وقع في الماضي السحيق! ولم يذكر إلا ان الفتاة كانت تغريه وتسقيه كأساً بعد اخرى وهو عن اغرائها منصرف وفي حديثها زاهد.



* اذيعت من محطة لندن

حتى اذا فرغ من الشراب روعته بكفها الاثيم على خده الكريم وأطارت من فوق عينيه منظاره العزيز – عزيز لانه جزء متمم لعينيه .

ومضى يترنح ويهذي ويسب جناية الخمر عليه وعلى كرامته ورجولته ، ويلعن اليوم الذي جاء به الى مجلس الشراب . وأخذ يسائل نفسه لماذا لم يملك الشجاعة على رد الاهانة ؟ ولم يتلق من نفسه جواباً . وبعد برهة تذكر ان الفتاة الماجنة قد اعتذرت له بانها ارادت ان تضرب عن يمين فضربت عن شمال .. وهي تقصد أنها ارادت ان تصفع الرجل الذي كان يجلس في المقعد المواجه ! فاخطأت فصفعته هو .. وعزت ذلك الخطأ الى تأثير الخمر على المضروب !

وهم سرحان افندي ان يحرك لسانه فالفاه ثقيلا كالطوبة !

ومضى يتسلل من شارع الى شارع في صمت . وبدا له انه قد ضل السبيل الى داره . وهنا تذكر في مضض ومرارة منظاره الذي تهشم على الارض .. ولكن حرصه على الوفاء بالوعد ، وخوفه من ان يقع عليه الطلاق أخذا من نفسه كل مأخذ . فنظر متهجاً الى السماء ، وغاب الابتهاج في الركام ..

وكان في سراه يهذي بصوت ينم عن الاسف حيناً ، وتشيع فيه الثقة حيناً آخر . وهو اقل الناس أسفاً واضعفهم ثقة :

– اني حارم نفسي هذه اللذة ، عاصم نفسي من هذه الزلة ، مكره نفسي على الانطواء في الدار من مغيب الشمس . كل ذلك من اجلك انت يا ابنة الكروم !

وابنة الكروم هو الاسم الذي يطلقه على زوجه إمعاناً في الكيد لها ..

ثم اخذ يقطع الهواء بذراعيه . ويضرب في الارض برجليه ، ويندفع مغذاً في السير في تعرج والتواء . حتى اصطدم برأس الزقاق فامسك . واحس نهاية السرى ، وخاضت الابتسامة وجهه المطهم . ان داره لتقوم في هذا الزقاق ، ولقد وفي بوعده فلا طلاق ولا شقاق ..

ثم بدأ السير فتحرك رأسه الى الامام . ثم انتقلت قدماه بخطوات مثقلة مترددة محاذرة . فقد كان الزقاق يفيض بظلام اشد مما عهد . وفجأة وقبل ان يسيطر على نفسه كبا لوجهه مفضياً بيديه الى شيء جاف صلب حين ادرك انه عتبة الباب ! سبحان الله ! ما بال هذه الخمر قد اثقلت عليه حواسه الليلة ، واطاشت عقله حتى خيل اليه ان هذه العتبة اقل صلابة وجفافاً مما عرف .

ولعله ابتسم ابتسامة ملأت وجهه ، وزادت في نشوته . فهو لم يشأ الا ان يفهم انه الان على باب داره ، وقد بلغ هدفه ، وتم له الظفر . ولو قدر لك ان تسمعه في تلك اللحظة لظننت انه يتهوع . والحقيقة انه كان يضحك !

استند سرحان افندي الى عتبة الباب وهو قابع كالكلب . واطبق جفنيه المجهدين ، وادلى رأسه على صدره ، وكاد يغيب بوعيه في دنيا مختلطة تعج بالجن ، وقد انطمس فيها كل شيء . لولا انه احس بالارض من حوله تدور ومن تحته تميد . فانتبه ورفع يداً تأبى الا ان تستقر مكانها على العتبة . لم يبق شيء الا ان يطرق الباب فتفتح الزوجة المنتظرة ليقول لها ها انذا قد عدت اليك قبل منتصف الليل . وحقاً قد عاد قبل منتصف الليل . ومع ذلك لم تظهر الزوجة ، ولم ينفتح الباب بالرغم من انه يوالي الطرق وهو في حيرة من امر هذه المرأة – هذه الزوجة ما بالها لا تسمع اترى قد غلب عليها النوم فنامت ؟ انه ليشعر بالحاجة الجديدة الى النوم ايضاً ، كما يشعر بتأثير الطرق على كفه . لقد كان يضرب بكفه على عتبة الدار وهو لا يدري ..

وسمع صوتاً منبعثاً من بين شفتيه اشبه بالغنة والهمس : افتحي الباب ! افتحي فقد عدت في الميعاد .. افتحي او لارجعن من حيث جئت ! وهنا انتقل به الخيال الى مجلس الشراب فاستوى قائماً ومال بجسمه وبكل قوته على الباب ..

وفي اللحظة التالية القى نفسه داخل الدار . فتنفس الصعداء .. ولكن ما بال المكان يكتنف ارجاءه الظلام ؟ لا بد ان ابنة الكروم لم تثق بوعده فاطفأت النور ونامت . ولكنه سيريها الليلة انه رجل لا يلعب بكلمة الشرف .. بالقسم ..

وهم بالتقدم ولكنه لم يقو . بل ترنح جسمه واسترخى . واحس براسه يهوي الى قرار سحيق .. فآثر السقوط على الارض .. اجل .. السقوط . وكانت الارض سريره المفضل في تلك الليلة المظلمة فنام ملء جفنيه ..

طلع الفجر واشرقت الشمس وافاق سرحان افندي من منامه . وتلفت حوله وليس هناك حركة او حياة . كل شيء هادىء . كل شيء غريب .. ثم نهض في بهر وذهول وسعى الى الخروج من تلك الدار . ولفت نظره هذا الباب المكسور فدنا من رقعة فيه مكتوب عليها « منزل للايجار » !!

الخرطوم — محمد صالح ابراهيم

الشاعر العراقي صالح جواد الطعمة

بقلم عيسى الناعوري

في عام ١٩٥٠ اصدر الشاعر العراقي الشاب صالح جواد الطعمه مجموعته الشعرية الاولى بعنوان « ظلال الغيوم » في ٩٨ صفحة من قطع الوسط وفيها اربع وعشرون قصيدة . وفي هذا العام عاد فاصدر مجموعته الثانية بعنوان « الربيع المحتضر » في مثل حجم الاولى وعدد صفحاتها ، وفيها سبع عشرة قصيدة . وقد صدرت المجموعتان والشاعر ما يزال يواصل دراسته العليا على مقاعد دار المعلمين العالية في بغداد . وفي الصفحات الاخيرة من « الربيع المحتضر » اشارة الى اربعة مؤلفات اخرى له ما تزال معدة للطبع ، وكل هذا ان دل على شيء ، فانما يدل على نشاط كثير ، وموهبة ادبية تتلمس طريقها الى احتلال مكان مرموق في دنيا الادب في المستقبل القريب .

وشاعرنا الشاب يقدم شعره في المجموعة الاولى غير متردد مع علمه بان كثيرين سيعترضون على هذه السرعة المبكرة في الطبع فهو يريد ان « يسجل نفسه » في اطوار شاعريته الاولى كما هي ، فيظهر للناس ما في شعره من مواطن الضعف والقوة ، فمن رأيه ان يقدم الشاعر للناس من شعره القصائد القوية والضعيفة على السواء ، ليعرفوه على حقيقته في كافة المراحل التي يمر بها . اما هل اصاب في هذا الرأي ام اخطأ ، فتلك قضية اخرى ، لكل انسان فيها رأيه الخاص . اما انا فلست من هذا الرأي ، لا سيما وقد اقدمت مرة على مثل هذه الخطوة في بدء حياتي الادبية فندمت بعد ذلك عليها كثيراً . وما كان الدافع الى اقدامي اذ ذاك سوى غرور الصبى الذي يصور لصاحبه انه اهل للمجد والشهرة ، وهو ما يزال طري العود على المجد والشهرة . ومثل هذا التسرع هو الذي يزيد في وفرة الغث في الانتاج الادبي ، ويساعد على نفور جمهرة القراء عنه ، هذا النفور الذي يشكو منه كل اديب عربي .

ويزيد في تشبثي بهذا الراي انني اثناء دراستي للشاعر الايطالي دانتي اليجييري قد اطلعت على اول مؤلفاته « Vita nuova » — اي : الحياة الجديدة — وفيه مجموعة من قصائد الصبى الاول التي قالها في حبيبته بياتريس — ويقال انه احبها وهو ابن تسع سنوات ... فلم اجد فيه ما يستحق الاهتمام : واردت ان اترجم شيئاً منه ، فكان بالترجمة اشبه بفقاقيع من لعب الاطفال .

هذا في مناقشة الرأي الذي دافع عنه الشاعر صالح في مقدمة مجموعته الشعرية الاولى ، على ان الحقيقة التي لمستها لدى مطالعة قصائد تلك المجموعة ، ان في تلك القصائد قطعاً جميلة تدل على بواكير النضج الشعري ، ولو انني لمست في القسم الاكبر منها تفككاً في العبارة الشعرية ، وضعفاً في المعاني ، وفي بعض الاحيان كنت اقع على عبارات لا اتبين لها معنى . واذ كانت هذه المآخذ كثيرة البروز في « ظلال الغيوم » فهي اقل بروزاً في « الربيع المحتضر » ، وان تكن لا تزال موجودة فيها .

ثم هناك هذا النوع الجديد من الشعر الذي اخذ يظهر بكثرة في السنوات الاخيرة على اقلام شعراء الشباب في العراق ، والذي رأينا في مرة سابقة انه قد اساء كثيراً الى شاعرية نازك الملائكة . واعتقد ان اول من ابتدع اسلوبه هو الشاعر بدر الدين شاكر السياب . وهو شعر متعب للقارىء ، وبدلا من ان يدخل السرور والارتياح الى النفس بتقطيع موسيقي منسجم ، نراه يدخل اليها الملالة والتعب . وقد يكون في معانيه حياة وقوة ، الا ان تشكيلة تفعيلاته غير المتجانسة تمنع من رؤية الجمال والحيوية فيه .

من ذلك قصيدة « الليل المنهار » و « الضريح المهجور » من مجموعة « ظلال الغيوم » ، وقصيدة « خرافة الرعيان » و « العائد » ، من مجموعة « الربيع المحتضر » . فلو جاءت هذه القصائد على اوزان وتقطيعات متناسقة متناغمة ، لكانت اجمل والطف وقعاً في النفس ، ففيها معان جميلة ، ولكنها ضاعت بالصياغة .

ويلاحظ قارىء هاتين المجموعتين ان روح الالم تشيع في كليهما بشكل بارز ، والالم هو الصبغة العامة التي يصطبغ بها اغلب

انتاجنا الادبي ، ولا سيما انتاج الشباب ، وهي طبيعة الحياة العامة عندنا ، ففي حياتنا نحن الشرقيين اسباب متنوعة ومظاهر متعددة للالم ، ولذلك كان ادبنا بكاء في اغلبه : اذا احببنا بكينا ، واذا طلبنا الحياة الكريمة بكينا ، واذا ثرنا بكينا ، فكيف بنا اذا اعترضت حياتنا الصعاب ودواعي الحزن والالم ؟!

وشيء آخر يلاحظه القارىء ، وهو ان هذه القصائد المتعددة في المجموعتين ، لا يجمعها اتجاه ادبي معين او روح واحدة ، فهناك لمسات خفيفة من الرومنتية ، ومن الواقعية ، ومن الرمزية ، كما ان هناك لمسات قومية عربية ، واخرى انسانية ، وغيرها عاطفية شخصية — الا ان هذه الاتجاهات جميعها لا تزال اصداء خفيفة لما يتأثر به الشاعر — وهو ما يزال في دور الهضم والاستيعاب — في مطالعاته ودراساته من مذاهب الفن ومدارس الفكر واجوائه وليس لها من القوة والبروز ما يتيح لنا ان نسلكها في مذهب واحد ، ولا ان نرى لها طابعاً شخصياً خاصاً .

ومن اجمل ما في هاتين المجموعتين ان اسلوب الشاعر فيهما ليس فيه اي اثر لطرائق الشعراء القدامى ، التي كانت تعتمد على ضخامة اللفظ ، وما يسمونه بقوة الجرس ، وانما يجري على الاساليب العصرية المأنوسة التي لا تحتاج الى مراجعة المعاجم وكتب اللغة .

ثم ان هناك عدداً من القصائد الجميلة في المجموعتين ، وهذه القصائد هي التي قلنا انها تدل على بواكير النضج ، وتبشر بالموهبة الشعرية الطيبة . من هذه القصائد الجميلة في مجموعة «ظلال الغيوم» قصيدة «من خطايانا» ، وهي ثورة على الهوان ، وسخرية من التواكل والتخاذل ، وفيها يقول الشاعر :

أختاه ! كم يغفو عليك الحداد ... يهزأ من عزمك غض الجهاد
هيه اخلعيه ، حسبنا ان نقاد ... ويرقص الظالم في كل ناد
ويدمم البعض ويشقى السواد ... فاذكي لنا الثورة وارمي الحداد
فالحق بالاهات لا يستماد ... وذكري «الراقص» : طال الغناء !

ومثلها في الجمال وقوة المعاني قصيده «في العيد» ، وهي ايضاً ثورة اجتماعية انسانية على شقاء الاشقياء من بني البشر . وكذلك قصيدة «غريب» وفيها نجوى حنونة ، وتصوير مؤثر لقلب الام الممتلىء بالحنان ، وفي عاطفتها حرارة وقوة . ومثل هذه المعاني الانسانية الجميله نجد في مجموعة «الربيع المحتضر» قصيدة «اغنية زنجية» وهي ثورة تحررية ، في عنوانها رمز الى العبيد الاذلاء ، وفي معناها دعوة الى التحرر من الرق والعبودية . وفي هذه القصيدة سرعان ما يلمس القارىء أثر قصيدة الجواهري في اخيه جعفر التي مطلعها :

أتعلم أم انت لا تعلم ... بان جراح الضحايا فم ؟

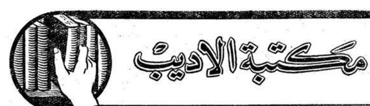
ففيها من روحها ولفظها معاً ، فليرجع اليهما القارىء اذا اراد المقارنة .

الا ان اقوى من هذه القصائد جميعاً — في رأيي — قصيدتا «في غوطة الشام» و «من اغاني الخلاص» ، وفي الاولى معان مؤثرة من عواطف الاخوة العربية ، وفي الثانية تطلع الى يوم عربي مشرق ، يقطع القيود ، ويطلق الاقدام في طريق الحرية والخلاص . وفيما يلي ابيات من قصيدة «في غوطة الشام» تظهر فيها قوة العاطفة وحرارتها :

ههنا رفقتي ، وكم طال يا رب بعادي عن موطن الرفقاء
منذ ان حالت الحدود عن اللقيا فاذكت مساعر الارزاء
احرام علي حتى هوى الاهل ولقيا الصحاب بعد التنائي ؟
ههنا ألمح النخيل وبغداد وسحر الجنان والاشذاء
في مغاني دمشق ، في غوطة الشام ، ودنيا الخمائل الزهراء
ههنا في المشاهد الحمر من أمس ضحايا الحرية الحمراء
حيث ثارت دمشق تعصف بالظلم وتلوي بنشوة الدخلاء
تتأبى الحياة ما بين اغلال وتهوي على المدى بالفناء
قصص المجد ، ليتها تبعث اليوم فنصحو من غفوة عمياء

هذه القصائد القليلة التي اخترتها من مجموعتي صديقي الشاعر صالح جواد الطعمه ، هي حسبي وحسب الشاعر من المجموعتين ، وانا اقف عندها وعلى لساني عبارة تهنئة له على توفيقه فيها ، وفي نفسي ترقب لما ستجيء به الايام المقبلة من شعره الذي سيشيع فيه النضج التام والقوة والحيوية .

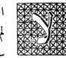
عمان — عيسى الناعوري



لمن ؟

لألبير اديب - مجموعة من الشعر الرمزي الطلق - مزينة بالرسوم الملونة بريشة الفنانة شهر زاد - ١٢٠ صفحة - ورق صقيل - اخراج فاخر - منشورات دار المعارف بمصر

نشر الاديب الاستاذ مارون مرعي نقداً لمجموعة « لمن ؟ » في « السنابل » الغراء وهي المجلة الشهرية الراقية التي تصدرها في بيروت « الرهبانية المارونية » الموقرة وقد آثرنا نقل هذه الدراسة القيمة الى « الاديب » شاكرين للاستاذ مرعي ولمجلة « السنابل » جميل عنايتها :



اطمع بان اصوغ للشعر تحديداً . كل تحديد، ان لم يرتطم بالفشل ، فهو لا يفتح امام لحاظنا سوى كوة ، لا ترينا من الآفاق والاجواء ، دنى الشعر المترامية الاطراف ، الا رقعة ترحب وتضيق طبقاً للعبقرية التي كدت في فتح المطل عليها .

ذاك ان التحديد يحيق بكل اجزاء المحدد ومعطياته . انه حدود ، والحدود اعجز من ان تضبط الفن في حواجزها . الحدود مقاييس وشرائع ، وهذه وقف على العلم الناتج من اعمال قوى الانسان واختباراته في المادة .

كل ماحيك حول الشعر محاولات - والحمد لله انها لم تتعد ولن تتعدى المحاولات والا فسد الشعر - تلاطمت فيها العبقريات والاراء والنظريات ، ولم تنته الى واحدة تسود اطلاقاً على العصور ، بل راحت كل منها تسلطن معتمدة على الشخصية الادبية التي نسجتها وروح العصر التي تبنتها ، ثم تتقلص بتقلص الاثنتين مفسحة المجال لسواها .

مرد ذلك انها كلها فيها من الخطأ ، وكلها فيها من الصواب . خطأ مطلعه العجز عن الاحاطة الشاملة بالموضوع .

وصواب يعود الى رحب الموضوع وامتداده .

هذا ما يذر بعض الاضواء على التخبطات الادبية التي تفتحت عنها العصور . ففي ادب كل شعب وفي كل عصر صراع بين القديم والحديث . ولا بد ابداً من حديث يعتق ، واحد منه يحتل الصدارة .

في الشعر العربي قام صراع بين نهج جاهلي ونهج عباسي .

وفي الادب الفرنسي شب صراع لم يخمد لاستمراره في تفاعل وتحاك مع الحياة .

بين الكلاسيكية والرومانطيقية صراع ،

بين الواقعية والرمزية صراع ...

صراع بقائي مخصاب تفرضه الحياة لتجدد الحياة وانهاضها . وما دام الصراع هذا ، أليف كل نفس عبقرية ، يخضها في كينونتها الموحدة لتصقل ما يلصق بها من غث المؤثرات وتفلت من معتقدات وفرائض لا تلتئم ونزعاتها الذاتية الانطلاقية .

فاحربه يهز المجتمع الادبي كاملا ، ويتمركز اساً في عناصر تكوينه واطلاعه وديمومته .

***

ونحن ابناء العرب ، تطلعنا في يقظتنا الحاضرة شطر الغرب ، فاصابنا منه رشاش اخصب في بعض رقعات ، تربتنا الادبية وكان للشعر منه نهلات خضلته وكثفته وأنمته .

فكان للرومانطيقية السلطان الاكبر على توجيه شعرائنا اخصه في غضون الثلث الاول من القرن العشرين . وشأن الامة شان الفرد ، رومانطيقية في نشوئها وشبابها ، كلاسيكية في كهولتها ونضوجها . وامتنا كانت قد افاقت من جديد في قومة فتية ، تناولت الادب ، فيما تناولت .

ثم عقبت اشراقة جديدة ، عمت وتبوأت . فنشأ الشعر الرمزي، وقام نبغاؤه وادعياؤه يصكون له الاسس ويركزون الدعائم .

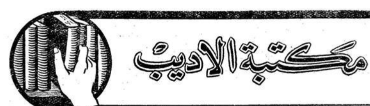
وقد كنت اود ان اخطو الى الاسهاب بعض الشيء عن الحركة الرمزية التي سادت الشعر اخيراً ، ما دام الكتاب الذي اوحى الي بهذه الاسطر والذي اخذت على نفسي درسه ، « هو مجموعة من الشعر الرمزي » .

على ان عدولي عن ذلك ، يبرره عقم في العمل من اجترار بعيد الكتب العديدة التي نسجت حول الموضوع .

يبرره بعض ضيق المكان .

وأوثر عليه التغلغل في مطاوي الكتاب ، فنتبين من الرمزية نواحي تنجلي على ضوء وضعي محصور ، لا وهمي فالت المعالم .

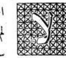
فمؤلف « لمن » من وضع الاستاذ البير أديب منشيء مجلة



لمن ؟

لألبير اديب - مجموعة من الشعر الرمزي الطلق - مزينة بالرسوم الملونة بريشة الفنانة شهر زاد - ١٢٠ صفحة - ورق صقيل - اخراج فاخر - منشورات دار المعارف بمصر

نشر الاديب الاستاذ مارون مرعي نقداً لمجموعة « لمن ؟ » في «السنابل» الغراء وهي المجلة الشهرية الراقية التي تصدرها في بيروت « الرهبانية المارونية » الموقرة وقد آثرنا نقل هذه الدراسة القيمة الى « الاديب » شاكرين للاستاذ مرعي ولمجلة « السنابل » جميل عنايتها :



اطمع بان اصوغ للشعر تحديداً . كل تحديد، ان لم يرتطم بالفشل ، فهو لا يفتح امام لحاظنا سوى كوة ، لا ترينا من الآفاق والاجواء ، دنى الشعر المترامية الاطراف ، الا رقعة ترحب وتضيق طبقاً للعبقرية التي كدت في فتح المطل عليها .

ذاك ان التحديد يحيق بكل اجزاء المحدد ومعطياته . انه حدود ، والحدود اعجز من ان تضبط الفن في حواجزها . الحدود مقاييس وشرائع، وهذه وقف على العلم الناتج من اعمال قوى الانسان واختباراته في المادة .

كل ماحيك حول الشعر محاولات ـ والحمد لله انها لم تتعد ولن تتعدى المحاولات والا فسد الشعر ـ تلاطمت فيها العبقريات والاراء والنظريات ، ولم تنته الى واحدة تسود اطلاقاً على العصور ، بل راحت كل منها تتسلطن معتمدة على الشخصية الادبية التي نسجتها وروح العصر التي تبنتها ، ثم تتقلص بتقلص الاثنتين مفسحة المجال لسواها .

مرد ذلك انها كلها فيها من الخطأ ، وكلها فيها من الصواب.

خطأ مطلعه العجز عن الاحاطة الشاملة بالموضوع .

وصواب يعود الى رحب الموضوع وامتداده .

هذا ما يذر بعض الاضواء على التخبطات الادبية التي تفتحت عنها العصور . ففي ادب كل شعب وفي كل عصر صراع بين القديم والحديث. ولا بد ابداً من حديث يعتق، واحدٌ منه يحتل الصدارة .

في الشعر العربي قام صراع بين نهج جاهلي ونهج عباسي .

وفي الادب الفرنسي شب صراع لم يخمد لاستمراره في تفاعل وتحاك مع الحياة .

بين الكلاسيكية والرومانطيقية صراع ،

بين الواقعية والرمزية صراع ...

صراع بقائي مخصاب تفرضه الحياة لتجدد الحياة وانهاضها .

وما دام الصراع هذا ، أليف كل نفس عبقرية ، يخضها في كينونتها الموحدة لتصقل ما يلصق بها من غث المؤثرات وتفلت من معتقدات وفرائض لا تلتئم ونزعاتها الذاتية الانطلاقية .

فاحربه يهز المجتمع الادبي كاملا ، ويتمركز اساً في عناصر تكوينه واطلاعه وديمومته .

***

ونحن ابناء العرب ، تطلعنا في يقظتنا الحاضرة شطر الغرب، فاصابنا منه رشاش اخصب في بعض رقعات ، تربتنا الادبية وكان للشعر منه نهلات خضلته وكثفته وأنمته .

فكان للرومانطيقية السلطان الاكبر على توجيه شعرائنا اخصه في غضون الثلث الاول من القرن العشرين . وشأن الامة شأن الفرد ، رومانطيقية في نشوئها وشبابها ، كلاسيكية في كهولتها ونضوجها . وامتنا كانت قد افاقت من جديد في قومة فتية ، تناولت الادب ، فيما تناولت .

ثم عقبت اشراقة جديدة ، عمت وتبوأت . فنشأ الشعر الرمزي، وقام نبغاؤه وادعياؤه يصكون له الاسس ويركزون الدعائم

وقد كنت اود ان اخطو الى الاسهاب بعض الشيء عن الحركة الرمزية التي سادت الشعر اخيراً ، ما دام الكتاب الذي اوحى الي بهذه الاسطر والذي اخذت على نفسي درسه ، « هو مجموعة من الشعر الرمزي » .

على ان عدولي عن ذلك ، يبرره عقم في العمل من اجترار بعيد الكتب العديدة التي نسجت حول الموضوع .

يبرره بعض ضيق المكان .

وأوثر عليه التغلغل في مطاوي الكتاب ، فنتبين من الرمزية نواحي تتجلى على ضوء وضعي محصور ، لا وهمي فالت المعالم .

فمؤلف « لمن » من وضع الاستاذ البير أديب منشيء مجلة

« الاديب » الغراء التي تشغل مركزاً مرموقاً في عالم العرب .

وهو بهي الديباجة ، متقن الطباعة ، صقيل الورق ، تتخلل صفحاته رسوم رمزية ملونة استوحتها الفنانة شهر زاد من موضوعات قصائد الكتاب . وهي جلية بقدر ، وغامضة بقدر ، وفقاً للمقطوعات الملهمة .

اما الشعر في « لمن ؟ » ، فليس بالموزون المقفى ، انه الشعر الحر الطليق . والوزن والقافية ليسا ضرورة للشعر ، كما ان ليس كل موزون مقفى شعراً .

فكتابات بول كلوديل لا تنضبط بوزن وقافية . ورغم ذلك ، بل لاجل ذلك ، سيثبت كلوديل في صفوف اعاظم الشعراء الخالدين

واكاد اقع الان في الهفوة التي شجبت اذ اراني مضطراً الى بعض محاولات حول الشعر تجتلي على ضوئها بعض نواحي حقيقته .

فالشعر همس النفس في اعمق اختلاجاتها . انه لا يدفع لنا بالفكرة في تعبيرها الصريح عن ذاتيتها . هو يرشدنا الى ثنايا آفاق وطيات اجواء ، وعلينا ان نلحق بالشاعر فنشاركه التحليق والسبر والتنقيب .

وهذا ما يهيب بنا الى القول بان الشعر ايحاء ، وفي الايحاء من عمق الصمت وابهامه ومن وضح التعبير ومدلوله . فتبان اذن القربى الوثيقة بين الشعر والموسيقى - والغناء والشعر توأمان ترعرعا في مهد واحد - وتظهر بالتالي منزلة الكلمة من حيث هي نغم ورنة ، ثم قيمة اتحاد الكلم وتساندها في تكوين القصيدة ، من حيث الجو الذي توله في تلاؤمها واحتكاكها وتبادل رناتها .

وقد يكون ايجاد الالفاظ ونحتها اشق في الشعر الحر منه في الشعر المضبوط ، كما انه يأتي احياناً ، على يد شاعر موهوب ، بنتائج اجلى واخصب .

في الشعر المضبوط قد تنساق اللفظة عفواً طوع رنة الوزن ، اما في الطليق ، فانها تنبثق نتيجة اعمال الشاعرية والذوق فحسب . في الاول قد تفرض نفسها وفق قواعد التفعيل .

وفي الثاني يندلها الشاعر ويهلهل فيها حتى تستقيم اكثر ما يكون مرونة وائتلافاً وحيوية .

في الاول تنخرط في مكانها من البيت مع رفيقاتها ، وقد تفقد الكثير من رنتها وتمثيلها وايحائها ، لضياعها بين سائر الاجزاء المكملة للتفعيلات .

وفي الثاني يمكنها ان تستقل بذاتها ، فتطفر سائدة بمعناها وموسيقاها على بقايا المقطوعات ، او ان تختلط ، في مقامها ، بسواها مما لا يريد الشاعر ان يجعل منها ، في بنائه الشعري ، حجارة الزاوية .

وقد يكون الشاعر الفرنسي لافونتين حدس بذلك ساعة أبى ان يلتزم في القصيدة الواحدة الوزن الواحد . بل كانت تتناوب على كل قصيدة اوزان عدة ، فتطفر الكلمة المتحتم عليها ان ترأس الفكرة ، وحيدة احياناً ، في بيت واحد ، او نافرة ملحوظة جنب سواها .

وانه لهين علينا ان نقع على هذه الميزات اللازمة للشعر الطلق طوال مجموعة « لمن ؟ » .

ففي قصيدة « يتيم » تبرز كلمة « ابي » تسود المقاطع وتحكم الفكر .

ابي ! ...
كلمة رددها الصدى على اذني ...
ابي
ومن ترى يكون ؟... « يتيم ص ٢٩ »

وفي قصيدة « عابرة » نرى كلمة « غريبة » تقوم كمحور تدور عليه المعاني .

اما القصائد في موضوعاتها ، فكل واحدة بناء مستقل يمتاز عن سواه ، هندسة ومناخاً .

ولا ادل على ذلك من العنوان « لمن ؟ » الذي انتقاه شاعرنا لمؤلفه

وقد يتشابه التصميم احياناً ويتماثل المناخ ، فنلمس بعض اللحمة والتقارب بين قصيدة واختها ، كذلك الذي نلحظه مثلا بين « يتيم » و « انا » الخ ...

على هذا الاساس ، يمكن القول في هذه المجموعة انها ضمة حالات نفسية متفاوتة ظروفاً وشدة والواناً ...

يوحيها اما شعور بتدفق الشباب والحيوية « حياتنا صفحة ٧ »

واما اجواء مشرقة تهدهدها « انغام والحان » فيتندى الزهر باكسير الحياة ويتلاقى النجم بالنجم وترقص الاضواء « انغام والحان صفحة ١١ » .

واما شجاعة ازاء الرزء والعذاب وانطلاق الى المجد « يتيم : ٢٩ » انا : ٣١ » .

واما ثورة على الناس « اولئك الذين يقدسون الباطل ويزهقون الحق ويقيمون في المآتم اعراساً » « اشباح من الناس : ٦٦ » .

واما وطنية تتدفق غيرة على الامة وقلقاً على مصيرها « فيها

« الاديب » الغراء التي تشغل مركزاً مرموقاً في عالم العرب .

وهو بهي الديباجة ، متقن الطباعة ، صقيل الورق ، تتخلل صفحاته رسوم رمزية ملونة استوحتها الفنانة شهر زاد من موضوعات قصائد الكتاب . وهي جلية بقدر ، وغامضة بقدر ، وفقاً للمقطوعات الملهمة .

اما الشعر في « لمن ؟ » ، فليس بالموزون المقفى ، انه الشعر الحر الطليق . والوزن والقافية ليسا ضرورة للشعر ، كما ان ليس كل موزون مقفى شعراً .

فكتابات بول كلوديل لا تنضبط بوزن وقافية . ورغم ذلك ، بل لاجل ذلك ، سيثبت كلوديل في صفوف اعاظم الشعراء الخالدين

واكاد اقع الان في الهفوة التي شجبت اذ اراني مضطراً الى بعض محاولات حول الشعر تجتلي على ضوئها بعض نواحي حقيقته .

فالشعر همس النفس في اعمق اختلاجاتها . انه لا يدفع لنا بالفكرة في تعبيرها الصريح عن ذاتيتها . هو يرشدنا الى ثنايا آفاق وطيات اجواء ، وعلينا ان نلحق بالشاعر فنشاركه التحليق والسبر والتنقيب .

وهذا ما يهيب بنا الى القول بان الشعر ايحاء ، وفي الايحاء من عمق الصمت وابهامه ومن وضح التعبير ومدلوله . فتبان اذن القربى الوثيقة بين الشعر والموسيقى — والغناء والشعر توأمان ترعرعا في مهد واحد — وتظهر بالتالي منزلة الكلمة من حيث هي نغم ورنة ، ثم قيمة اتحاد الكلم وتساندها في تكوين القصيدة ، من حيث الجو الذي تولده في تلاؤمها واحتكاكها وتبادل رناتها .

وقد يكون ايجاد الالفاظ ونحتها اشق في الشعر الحر منه في الشعر المضبوط ، كما انه يأتي احياناً ، على يد شاعر موهوب ، بنتائج اجلى واخصب .

في الشعر المضبوط قد تنساق اللفظة عفواً طوع رنة الوزن ، اما في الطليق ، فانها تنبثق نتيجة اعمال الشاعرية والذوق فحسب . في الاول قد تفرض نفسها وفق قواعد التفعيل .

وفي الثاني ينبدلها الشاعر ويهلهل فيها حتى تستقيم اكثر ما يكون مرونة وائتلافاً وحيوية .

في الاول تنخرط في مكانها من البيت مع رفيقاتها ، وقد تفقد الكثير من رنتها وتمثيلها وايحائها ، لضياعها بين سائر الاجزاء المكملة للتفعيلات .

وفي الثاني يمكنها ان تستقل بذاتها ، فتطفر سائدة بمعناها وموسيقاها على بقايا المقطوعات ، او ان تختلط ، في مقامها ، بسواها مما لا يريد الشاعر ان يجعل منها ، في بنائه الشعري ، حجارة الزاوية .

وقد يكون الشاعر الفرنسي لافونتين حدس بذلك ساعة أبى ان يلتزم في القصيدة الواحدة الوزن الواحد . بل كانت تتناوب على كل قصيدة اوزان عدة ، فتطفر الكلمة المتحتم عليها ان ترأس الفكرة ، وحيدة احياناً ، في بيت واحد ، او نافرة ملحوظة جنب سواها .

وانه لهين علينا ان نقع على هذه الميزات اللازمة للشعر الطلق طوال مجموعة « لمن ؟ » .

ففي قصيدة « يتيم » تبرز كلمة « ابي » تسود المقاطع وتحكم الفكر .

ابي ! ...
كلمة رددها الصدى على اذني ...
ابي
ومن ترى يكون ؟... « يتيم ص ٢٩ »

وفي قصيدة « عابرة » نرى كلمة « غريبة » تقوم كمحور تدور عليه المعاني .

اما القصائد في موضوعاتها ، فكل واحدة بناء مستقل يمتاز عن سواه ، هندسة ومناخاً .

ولا ادل على ذلك من العنوان « لمن ؟ » الذي انتقاه شاعرنا لمؤلفه

وقد يتشابه التصميم احياناً ويتماثل المناخ ، فنلمس بعض اللحمة والتقارب بين قصيدة واختها ، كذلك الذي نلحظه مثلا بين « يتيم » و « انا » الخ ...

على هذا الاساس ، يمكن القول في هذه المجموعة انها ضمة حالات نفسية متفاوتة ظروفاً وشدة والواناً ...

يوحيها اما شعور بتدفق الشباب والحيوية « حياتنا صفحة ٧ »

واما اجواء مشرقة تهدهدها « انغام والحان » فيتندى الزهر باكسير الحياة ويتلاقى النجم بالنجم وترقص الاضواء « انغام والحان صفحة ١١ » .

واما شجاعة ازاء الرزء والعذاب وانطلاق الى المجد « يتيم : ٢٩ » انا : ٣١ » .

واما ثورة على الناس « اولئك الذين يقدسون الباطل ويزهقون الحق ويقيمون في المآتم اعراساً » « اشباح من الناس : ٦٦ » .

واما وطنية تتدفق غيرة على الامة وقلقاً على مصيرها « فيها

الشاعر من قارورة النفس » « قلق : ٧١ ».

واما انتفاضة في حضن الهوى تختلج نشوة او ألماً « صدى: ٣٧ » « بيننا : ٩٨ ».

واما تمزق على الحرية المحتضرة « عبيد : ٨٠ »

امام هذا التنوع في الموحيات والموضوعات لا يسعنا ان نحيط ، في الدرس ، بكل قصيدة مستقلة ، بل اننا سنأخذ بما يكفي لاداء فكرة شاملة عن الكتاب وشاعرية صاحبه .

قلنا ان قصائد الكتاب ضمة حالات نفسية وهذه الحالات تختلف بل قد تتناقض احياناً باختلاف وتناقض المؤثرات الموضوعية الخارجية والاستمدادات الذاتية العاطفية التي تحرّ في روع الشاعر ساعة الالهام .

لكنه رغم التفاوت هذا تفرضه حالات النفس المتقلبة ، لا يمكن الشاعر ان يتنكر للوحدة التي تنطوي عليها كينونته ، لا يمكنه ان كان شاعراً مخلصاً صادقاً ، ان ينقسم على ذاته . هناك اصل واحد يدفع المائية في سائر الفروع والاغصان المتشعبة .

لقد عودنا اكثر الشعراء الاستماع الى نواحهم وشكواهم ورزوحهم تحت صدمات القدر .

عودونا التطلع الى الكون من خلف زجاجة سوداء لا ترينا الا المرارة وحرقة الحرمان وقساوة الناس وجورهم .

قد نرى في بعض قصائد الاستاذ البير شيئاً من هذا ، لكن العاطفة السيدة النافذة في معظم القصائد واصدقها ، هي مشرقة ضاحكة سابحة ملء موجات من العطر والبهاء والازرقاق :

حياتنا شباب وفكر اخضر
وعواطف من عمل الربيع
وقلوب من ندى الفجر ...
فما اسخفنا
الا نجمل ايامنا ابتسامة « حياتنا : ٧ »

انت ان عزفت ترقص نفسي ...
ويخشع قلبي لانشادك
ثم اغمض عيني في انغامك
فترى نفسي آفاقاً جديدة
تتلقن فيها معنى الجمال: «انغام والحان: ١١»

هذا الشذا ؟...
لي به نسب ؟...
هذا الطيب ؟...
انا اهرقته « صدى : ٣٧ »

ولا نحس في الكثير من قصائد الشاعر تلك الروح المستسلمة للقدر يسيرها ، او المنشلة تحت كابوس اليأس لا ترجو انفلاتاً ان نفسه ، في حالة الضيق والعذاب ، تنعم بالرجاء وتصبو الى الانعتاق ، وتهيب الى التحرر . ونعم الشجاعة ونعم الرجاء في الشدة فيها خلتا النفس الكبيرة الطموح :

أبي ؟ ...
كلا ... حدثتني امي عن كبريائها
فعركتني الحياة بكبريائي ...
انا قوي الرجاء
صهرتني الحياة
فخرجت شموخ الانف ..
انا المجد التليد
انا انطلاق الرجاء ... « يتيم : ٢٩ »

انا كالأسد الجريح ...
... الذرى دون طماحي
انا لم اشك غصة المجد
فقد مسحت جبينه بجناحي « انا : ٣٢ »

اما العاطفة المتغلغلة السائدة عبر قصائد الكتاب فهي عاطفة الحب . والحب مورد الشعر الاول يلهم ويوحي ويقود ، فاما يسف بالشاعر او يسف به الشاعر متمرغاً ذليلا على ألم وشكوى ، وكم عودنا وجه الحب هذا عند شعراء وشعراء ، واما يسمو الشاعر او يسمو به الشاعر فيروحنه نيرا ، والعذاب به يطهر وينقي في انطلاق دائم ، لا يسوق من هوة الى هوة ، ولا يمني بالفشل والشلل .

ويرجح من معظم قصائد الاستاذ اديب ، انه من الفئة الثانية التي تستوحي حبها صفاء وضياء وان هبط الحب بها حيناً ، فلا تكل وتزحف وراءه ، بل تعود اليه ، في مرارة من الهبوط فتقيله العثار وتنقيه وتطلقه . فاذا تناولنا قصيدة «شاعر ص٢١» في « الرؤيا » الجميلة التي تنجلي عنها ، نلقى هذا الحب في وجهيه: حب « شاب خبيث » أحب ثم خان ، وحب طفل « كالبنفسج له الهمس الناعم وليس له الشوك » اخلص في حبه وتألم للجفاء:

وكان الطفل شاعراً مجهولا
فاخذ ينشد في الناس مأساته ...
ولقيت به العذارى اميرها الصغير ...
فبكت العذارى لبكاء الطفل
الذي نسي الشعر
واصبح شاعراً كبيراً ... «شاعر : ٢١»

الشاعر من قارورة النفس » « قلق : ٧١ ».
واما انتفاضة في حضن الهوى تختلج نشوة او ألماً « صدى: ٣٧ » « بيننا : ٩٨ ».
واما تمزق على الحرية المحتضرة « عبيد : ٨٠ »
امام هذا التنوع في الموحيات والموضوعات لا يسعنا ان نحيط ، في الدرس ، بكل قصيدة مستقلة ، بل اننا سنأخذ بما يكفي لاداء فكرة شاملة عن الكتاب وشاعرية صاحبه .
قلنا ان قصائد الكتاب ضمة حالات نفسية وهذه الحالات تختلف بل قد تتناقض احياناً باختلاف وتناقض المؤثرات الموضوعية الخارجية والاستمدادات الذاتية العاطفية التي تحرّ في روع الشاعر ساعة الالهام .
لكنه رغم التفاوت هذا تفرضه حالات النفس المتقلبة ، لا يمكن الشاعر ان يتنكر للوحدة التي تنطوي عليها كينونته ، لا يمكنه ان كان شاعراً مخلصاً صادقاً ، ان ينقسم على ذاته . هناك اصل واحد يدفع المائية في سائر الفروع والاغصان المتشعبة .
لقد عودنا اكثر الشعراء الاستماع الى نواحهم وشكواهم ورزوحهم تحت صدمات القدر .
عودونا التطلع الى الكون من خلف زجاجة سوداء لا ترينا الا المرارة وحرقة الحرمان وقساوة الناس وجورهم .
قد نرى في بعض قصائد الاستاذ البير شيئاً من هذا ، لكن العاطفة السيدة النافذة في معظم القصائد واصدقها ، هي مشرقة ضاحكة سابحة ملء موجات من العطر والبهاء والازرقاق :

حياتنا شباب وفكر اخضر
وعواطف من عمل الربيع
وقلوب من ندى الفجر ...
فما اسخفنا
الا نجمل ايامنا ابتسامة « حياتنا : ٧ »

انت ان عزفت ترقص نفسي ...
ويخشع قلبي لانشادك
ثم اغمض عيني في انغامك
فترى نفسي آفاقاً جديدة
تتلقن فيها معنى الجمال: « انغام والحان: ١١ »

هذا الشذا ؟...
لي به نسب ؟...
هذا الطيب ؟...
انا اهرقته « صدى : ٣٧ »

ولا نحس في الكثير من قصائد الشاعر تلك الروح المستسلمة للقدر يسيرها ، او المنشلة تحت كابوس اليأس لا ترجو انفلاتاً ان نفسه ، في حالة الضيق والعذاب ، تنعم بالرجاء وتصبو الى الانعتاق ، وتهيب الى التحرر . ونعم الشجاعة ونعم الرجاء في الشدة فيها خلتا النفس الكبيرة الطموح :

أبي ؟ ...
كلة ... حدثتني امي عن كبريائها
فعركتني الحياة بكبريائي ...
انا قوي الرجاء
صهرتني الحياة
فخرجت شموخ الانف ..
انا المجد التليد
انا انطلاق الرجاء ... « يتيم : ٢٩ »
انا كالأسد الجريح ...
... الذرى دون طماحي
انا لم اشك غصة المجد .
فقد مسحت جبينه بجناحي « انا : ٣٢ »

اما العاطفة المتغلغلة السائدة عبر قصائد الكتاب فهي عاطفة الحب . والحب مورد الشعر الاول يلهم ويوحي ويقود ، فاما يسف بالشاعر او يسف به الشاعر متمرغاً ذليلا على ألم وشكوى، وكم تعودنا وجه الحب هذا عند شعراء وشعراء ، واما يسمو الشاعر او يسمو به الشاعر فيروحنه نيرا ، والعذاب به يطهر وينقي في انطلاق دائم ، لا يسوق من هوة الى هوة ، ولا يمني بالفشل والشلل .
ويرجح من معظم قصائد الاستاذ اديب ، انه من الفئة الثانية التي تستوحي حبها صفاء وضياء وان هبط الحب بها حيناً ، فلا تكل وتزحف وراءه ، بل تعود اليه ، في مهارة من الهبوط فتقيله العثار وتنقيه وتطلقه . فاذا تناولنا قصيدة « شاعر ص ٢١ » في « الرؤيا » الجميلة التي تنجلي عنها ، نلقى هذا الحب في وجهيه: حب « شاب خبيث » أحب ثم خان ، وحب طفل « كالبنفسج له الهمس الناعم وليس له الشوك » اخلص في حبه وتألم للجفاء:

وكان الطفل شاعراً مجهولا
فاخذ ينشد في الناس مأساته ...
ولقيت به العذارى اميرها الصغير ...
فبكت العذارى لبكاء الطفل
الذي نسي الشعر
واصبح شاعراً كبيراً ... « شاعر : ٢١ »

حب هذا الطفل العفيف الذي اصيب بالحرمان لقاء طهارته ووفائه ، هو الحب الخليق بان يجعل من الانسان شاعراً كبيراً.
هو حب المجدلية التائبة ، حب أبي رفيع :

رأيت في الحانك ، المجدلية
على قدمي يسوع
وسمعت ابن مريم
يتمتم لها بالرحمة
ورأيت العاشق
الذي يشكو هواه
وفي نفسه اباء
وفي روحه شمم « انغام والحان »

ويسن الشاعر شريعة الحب الخالد الخلاق هذا الذي تلتقي به روحان فيتفاهان ويمتزجان في وحدة تامة شاملة :

فاذا تلاقت روحان
وفهمت كلتاهما معنى التلاشي والاضمحلال
الواحدة في الاخرى ...
كان الخلق والابداع
كان الازل والابد ... « توحد : ٩٣ »

فلا يبقى في شميم الشاعر من الحب الا « عبق البخور والشذا ... « ارتواء ١٠٦ » ولئن عثر الحب فتلوث ، تنطلق الطبيعة تنفحه وتنعشه وتذكيه :

وبينما يرسل الفجر من ثغره قبلة الوداع
على بقايا العتمة الحائرة
يفتح نسيم الشروق البليل
الابواب والنوافذ
وهو يسبح بانشودة الحياة
حاملا من عليا الروابي وقمم الجبال
عبير الوردة النقية
وحفنة من التراب المقدس
لتطهير ذلك الجسد. « الظمآنة : ١٠٥ »

ونلاحظ هذه الطبيعة ، الملهمة الاولى ، تسود القصائد ، فتتبادل والشاعر التأثرات ، يضفي عليها من عواطفه وتخلع عليه من موحياتها . انها الطبيعة الحية الناطقة ، طبيعة الشعر والفن ، طبيعة الجمال ، وهي ، اجمالا الطبيعة الهزجة المرحة :

سيقول الروض غدا
مرت بنا يده السمحاء
فكان الربيع الذي ترى
وكانت النبتة الخضراء ...
... وينطق هذا الجبل الاشم
من فؤاده ارتوت صخوري الصلداء ...
« قلق : ٧١ »

لا تسأل بنفسجة كيف نبتت ؟
كم عاشت ؟
انما تقول البنفسجة
انا ندية ، بللني الفجر
ولندى الفجر على اوراق البنفسج
الف لون ، في الف نغم
في الف معنى
لا تدركه غير فراشات الفجر ...
« توحد : ٩٣ »

هذه بعض من الجمالات الجمة الشائعة المشعة طوال قصائد « لمن ؟ » . ولا بد من ان نمر معها ببعض انخفاضات ، أخصه في القصائد « التعليمية » حيث تتجلى الفكرة عن وعظ وتحليل ، يعرض للواقع العاري ، فيهزل الرمز ويشحب الشعر . هذا ما نلمسه مثلا في قصيدة « لنفسي وللناس » حيث يشرح الشاعر ازدواج شخصية الانسان : « يعيش عيشتين لنفسه وللناس » . وكذلك في قصيدة « الذوق الفني ص ٦٢ » حيث يأخذ الشاعر على نفسه تحليل هذا الذوق فيخطىء المرميين : الشعر ، واظهار الجمال والقبح في وجهيهما الصحيحين .

واراني اكاد اطيل . فان ما كتبت وبينت لا يغني القارىء عن مطالعة الكتاب ، بل لا يزيده الا كلفاً وشعوراً بضرورة مطالعته والعمل بنفسه على التذوق والاكتشاف . ولا شك انه سيلقى ويستنبط اشياء كثيرة لم آت على ذكرها ، وقد يكتشف حتى خلال بعض المقاطع التي حللت ، رموزاً ومعاني لم اوردها وهذه ميزة خاصة بالشعر الرمزي . غني بالمعاني ، غني بالصور ، تنفتح الواحدة فيه عن دنياوات جديدة قد لا تكون خطرت في مخيلة الشاعر نفسه .

فوراء الكلمة جم من رعشات موسيقية ،
ووراء التعبير افاق من ايحاآت

فعلى المطالع ان يجول ويسبر ويكتشف . وفي الاكتشاف يجتني لذة ونشوة ، فيض من لذة المبدع الخلاق ونشوته ، ممعناً عبر الوضع وبعد ، تأملا واستمتاعاً .

حب هذا الطفل العفيف الذي اصيب بالحرمان لقاء طهارته ووفائه ، هو الحب الخليق بان يجعل من الانسان شاعراً كبيراً.
هو حب المجدلية التائبة ، حب أبي رفيع :

رأيت في الحانك ، المجدلية
على قدمي يسوع
وسمعت ابن مريم
يتمتم لها بالرحمة
ورأيت العاشق
الذي يشكو هواه
وفي نفسه اباء
وفي روحه ثمم « انغام والحان »

ويسن الشاعر شريعة الحب الخالد الخلاق هذا الذي تلتقي به روحان فيتفاهان ويمتزجان في وحدة تامة شاملة :

فاذا تلاقت روحان
وفهمت كلتاها معنى التلاشي والاضمحلال
الواحدة في الاخرى ...
كان الخلق والابداع
كان الازل والابد ... « توحد : ٩٣ »

فلا يبقى في ثميم الشاعر من الحب الا « عبق البخور والشذا ... « ارتواء ١٠٦ » ولئن عثر الحب فتلوث ، تنطلق الطبيعة تنفحه وتنعشه وتذكيه :

وبينما يرسل الفجر من ثغره قبلة الوداع
على بقايا العتمة الحائرة
يفتح نسيم الشروق البليل
الابواب والنوافذ
وهو يسبح بانشودة الحياة
حاملا من عليا الروابي وقمم الجبال
عبير الوردة النقية
وحفنة من التراب المقدس
لتطهير ذلك الجسد. « الطمأنينة : ١٠٥ »

ونلاحظ هذه الطبيعة ، الملهمة الاولى ، تسود القصائد ، فتتبادل والشاعر التأثرات ، يضفي عليها من عواطفه وتخلع عليه من موحياتها . انها الطبيعة الحية الناطقة ، طبيعة الشعر والفن ، طبيعة الجمال ، وهي ، اجمالا الطبيعة الهزجة المرحة :

سيقول الروض غدا
مرت بنا يده السمحاء

فكان الربيع الذي ترى
وكانت النبتة الخضراء ...
... وينطق هذا الجبل الاثم
من فؤاده ارتوت صخوري الصلداء ...
« قلق : ٧١ »

لا تسأل بنفسجة كيف نبتت ؟
كم عاشت ؟
انما تقول البنفسجة
انا ندية ، بلمي الفجر
ولندى الفجر على اوراق البنفسج
الف لون ، في الف نغم
في الف معنى
لا تدركه غير فراشات الفجر ...
« توحد : ٩٣ »

هذه بعض من الجمالات الجمة الشائعة المشبعة طوال قصائد « لمن ؟ » . ولا بد من ان نمر معها ببعض انخفاضات ، أخصه في القصائد « التعليمية » حيث تتجلى الفكرة عن وعظ وتحليل ، يعرض للواقع العاري ، فيهزل الرمز ويشحب الشعر . هذا ما نلمسه مثلا في قصيدة « لنفسي وللناس » حيث يشرح الشاعر ازدواج شخصية الانسان : « يعيش عيشتين لنفسه وللناس » . وكذلك في قصيدة « الذوق الفني ص ٦٢ » حيث يأخذ الشاعر على نفسه تحليل هذا الذوق فيخطىء المرميين : الشعر ، واظهار الجمال والقبح في وجهيهما الصحيحين .

واراني اكاد اطيل . فان ما كتبت وبينت لا يغني القارىء عن مطالعة الكتاب ، بل لا يزيده الا كلفاً وشعوراً بضرورة مطالعته والعمل بنفسه على التذوق والاكتشاف . ولا شك انه سيلقى ويستنبط اشياء كثيرة لم آت على ذكرها ، وقد يكتشف حتى خلال بعض المقاطع التي حللت ، رموزاً ومعاني لم اوردها وهذه ميزة خاصة بالشعر الرمزي . غني بالمعاني ، غني بالصور ، تنفتح الواحدة فيه عن دنياوات جديدة قد لا تكون خطرت في مخيلة الشاعر نفسه ..

فوراء الكلمة جم من رعشات موسيقية ،
ووراء التعبير افاق من ايحاآت

فعلى المطالع ان يجول ويسبر ويكتشف . وفي الاكتشاف يجتني لذة ونشوة ، فيض من لذه المبدع الخلاق ونشوته ، ممعناً عبر الوضع وبعد ، تأملا واستمتاعاً .

دنى حافلة بالمطاوي والاغوار ، فيها من الابهام وفيها من الوضوح، فيها من الظلال والاضواء، ينعم فيها المتجول الباحث، لدى كل نقلة ، بالجديد الفريد، وقد يستحيل او يشق عليه ان يخرج مكنوناتها وموحياتها من عالمها هذا الى حيز التفسير والتعبير المطلق احساس يتم في اعماق النفس ، وكلما نفذ الاحساس عمقاً عسرت تعريته واستجلاؤه .

واخيراً ، هذا الشعر الرمزي الطلق الذي نطالعه في مؤلف « لمن ؟ » يفسح امام لحاظنا فضاء فيه من الجدة والجمال. ونتمنى ان تعقب هذه الخطوة الموفقة خطوات تشق مسلك الشعر فتحاً نيراً مخصاباً ، وان يكمل الاستاذ أديب اشواطه في المروج الخضراء والآفاق الزرقاء، فيطلع علينا في شعره ، كما طلع في مجلته الغراء ، صفاء وتوجيهاً .

بيروت « السنابل » — **مارون مرعي**

القصة في الادب العربي الحديث

لمحمد يوسف نجم ـ دراسات في الأدب العربي الحديث رقم ١ ـ ٢٩٦ صفحة ـ قطع كبير ـ دار مصر للطباعة بالقاهرة

القصة في الادب العربي الحديث كتاب جديد اخرجته دار مصر للطباعة بالقاهرة للاستاذ محمد يوسف نجم الاستاذ في الاداب من جامعة بيروت الاميركية هذا الكتاب هو حلقة اولى من سلسلة دراسات يود المؤلف ان يتناول فيها الادب العربي الحديث في مختلف فنونه واتجاهاته. قصر الاستاذ نجم بحثه في هذا الجزء على القصة في لبنان وانتهى بها حتى الحرب العظمى الاولى فقدم اولا لمحات من تاريخ النهضة الحديثة في لبنان وعرضه عرضاً واضحاً سهلا يعين على فهم الجو الذي نشأ فيه القصص اللبناني فتحدث عن المدارس والبعثات التبشيرية ونشاطها وحركة التجديد واحمد فارس الشدياق والجمعيات الادبية والادب المسرحي والصحافة واثرها في انتشار القصة والترجمة والطباعة وحركة الادب المهجري ثم قسم كتابه الى ثلاثة فصول : فصل تناول فيه الاتجاه الاجتماعي في القصة فبين لنا كيف ان الادب في القديم كان يعيش في افياء الأفراد ، كنوع من الحلى يهديها الادباء للملوك والامراء . ثم كيف قامت النهضة الحديثة وانتشر التعليم فاثر في تحضير البلاد واصبح الادباء مضطرين لان يسوقوا ادبهم للشعب وقد كثر المتعلمون فيه وأصبح الشعب عماد الحياة الادبية ومصدر نجاحها المادي فاتجه الادباء اليه اتجاهات مختلفة ، حاملين على المفاسد الاجتماعية الناشئة عن تطرف الناس وتمسكهم بقشور الحياة متأثرين بالادب الغربي ومجارينه في حمله على النظام الاجتماعي المختل الذي جعل الوفا من الناس عبيداً لافراد معدودين ، محاولين ان ينقوا الحياة من المفاسد التي تشوبها ، عازين هذه المفاسد الى الحضارة الحديثة التي اسيء فهمها ففسدت في ايدي بعض الاغنياء وسرت عدواها الى الطبقات المتوسطة والدنيا حتى عمت موجة الفساد الاجتماعي والتدهور الاخلاقي مما اشاع روح التشاؤم في الادب .

ثم يستمر الاستاذ نجم في دراسته بهذا التحليل الواعي والدرس الرصين فيبين اتجاه الادباء الى ما هو ابعد من ذلك واشد اتصالا بالحياة العامة الا وهو البؤس الاقتصادي والاجتماعي كوصف احوال الطبقات المحرومة والطبقات المترفة وثورة المهجريين على الاوضاع السائدة لما لمسوه من فرق بين الحياة في الشرق وحياة امريكا مما يلاحظ في قصص جبران ومقالاته الاجتماعية وقصص نعيمة ومقالاته وشعر ابي ماضي ونسيب عريضة وغيرهم وغيرهم .

كما يبين الاتجاهات الشعبية الاجتماعية في الادب الحديث كالمبدأ الانساني اي المطالبة بحقوق الانسان وازالة الطغيان ومناصرة المرأة ومساواتها بالرجل ويخلص الى التحدث عن الادباء والذين عالجوا كل هذه الامور فيصحح بعض العقائد التاريخية فيما يتعلق بتاريخ هذه الفنون عندنا فيبرز للقاريء كاتباً مغموط الحق لا يعرفه الباحثون بله القراء وهو سليم البستاني الذي يعزو اليه زيادة هذه الفنون جميعها في ادبنا مقدما الدليل على ما ذهب اليه من رأي

كما يرد مؤلفنا الجريء على زعم الباحثين الذين يذهبون الى ان رائد الاقصوصة في ادبنا هو محمد تيمور في حين ان هنالك محاولات سبقت محاولة تيمور لا تقل عنه فنية كمحاولات سليم البستاني ونسيب مشعلاني ولبيبة هاشم بل بعضها يفوق ما كتبه تيمور ويسبقه بمراحل كأقاصيص جبران ونعيمة .

كما يظهر كذلك تخبط الباحثين في القصة التاريخية وروادها ويعجب كيف يقصرون ابحاثهم على اللامعين من الكتاب كجرجي زيدان ولا يتعرضون لسليم البستاني بخير او شر رغم انه حاول هذا النوع من القصة سنة ١٨٧١ اي قبل زيدان بعشرين عاماً .

وهكذا يمضي المؤلف في باقي الفصول فيدرس كل كاتب على حدة ناقداً قصصه نقداً يشعرك بما لديه من الثقافة المحيطة العميقة والحساسية والتنبه الوجداني والتجرد عن الميل والهوى وغير ذلك مما تتطلبه عملية النقد .

دنى حافلة بالمطاوي والاغوار ، فيها من الابهام وفيها من الوضوح، فيها من الظلال والاضواء، ينعم فيها المتجول الباحث، لدى كل نقلة ، بالجديد الفريد، وقد يستحيل او يشق عليه ان يخرج مكنوناتها وموحياتها من عالمها هذا الى حيز التفسير والتعبير المطلق احساس يتم في اعماق النفس ، وكلما نفذ الاحساس عمقاً عسرت تعريته واستجلاؤه .

واخيراً ، هذا الشعر الرمزي الطلق الذي نطالعه في مؤلف « لمن ؟ » يفسح امام لحاظنا فضاء فيه من الجدة والجمال. ونتمنى ان تعقب هذه الخطوة الموفقة خطوات تشق مسلك الشعر فتحاً نيراً مخصاباً ، وان يكمل الاستاذ أديب اشواطه في المروج الخضراء والآفاق الزرقاء ، فيطلع علينا في شعره ، كما طلع في مجلته الغراء ، صفاء ، وتوجيهاً .

بيروت « السنابل » **مارون مرعي**

القصة في الادب العربي الحديث

لمحمد يوسف نجم - دراسات في الأدب العربي الحديث رقم ١ - ٢٩٦ صفحة - قطع كبير - دار مصر للطباعة بالقاهرة

القصة في الادب العربي الحديث كتاب جديد اخرجته دار مصر للطباعة بالقاهرة للاستاذ محمد يوسف نجم الاستاذ في الاداب من جامعة بيروت الاميركية هذا الكتاب هو حلقة اولى من سلسلة دراسات يود المؤلف ان يتناول فيها الادب العربي الحديث في مختلف فنونه واتجاهاته. قصر الاستاذ نجم بحثه في هذا الجزء على القصة في لبنان وانتهى بها حتى الحرب العظمى الاولى فقدم اولا لمحات من تاريخ النهضة الحديثة في لبنان وعرضه عرضاً واضحاً سهلا يعين على فهم الجو الذي نشأ فيه القصص اللبناني فتحدث عن المدارس والبعثات التبشيرية ونشاطها وحركة التجديد واحمد فارس الشدياق والجمعيات الادبية والادب المسرحي والصحافة واثرها في انتشار القصة والترجمة والطباعة وحركة الادب المهجري ثم قسم كتابه الى ثلاثة فصول : فصل تناول فيه الاتجاه الاجتماعي في القصة فبين لنا كيف ان الادب في القديم كان يعيش في افياء ولأفراد ، كنوع من الحلى يهديها الادباء للملوك والامراء . ثم كيف قامت النهضة الحديثة وانتشر التعليم فاثر في تحضير البلاد واصبح الادباء مضطرين لان يسوقوا ادبهم للشعب وقد كثر المتعلمون فيه وأصبح الشعب عماد الحياة الادبية ومصدر نجاحها المادي فاتجه الادباء اليه اتجاهات مختلفة ، حاملين على المفاسد الاجتماعية الناشئة عن تطرف الناس وتمسكهم بقشور الحياة متأثرين بالادب الغربي ومجارين له في حمله على النظام الاجتماعي المختل الذي جعل الوفا من الناس عبيداً لافراد معدودين ، محاولين ان ينقوا الحياة من المفاسد التي تشوبها ، عازين هذه المفاسد الى الحضارة الحديثة التي اسيء فهمها ففسدت في ايدي بعض الاغنياء وسرت عدواها الى الطبقات المتوسطة والدنيا حتى عمت موجة الفساد الاجتماعي والتدهور الاخلاقي مما اشاع روح التشاؤم في الادب .

ثم يستمر الاستاذ نجم في دراسته بهذا التحليل الواعي والدرس الرصين فيبين اتجاه الادباء الى ما هو ابعد من ذلك واشد اتصالا بالحياة العامة الا وهو البؤس الاقتصادي والاجتماعي كوصف احوال الطبقات المحرومة والطبقات المترفة وثورة المهجريين على الاوضاع السائدة لما لمسوه من فرق بين الحياة في الشرق وحياة امريكا مما يلاحظ في قصص جبران ومقالاته الاجتماعية وقصص نعيمة ومقالاته وشعر ابي ماضي ونسيب عريضة وغيرهم وغيرهم .

كما يبين الاتجاهات الشعبية الاجتماعية في الادب الحديث كالمبدأ الانساني اي المطالبة بحقوق الانسان وازالة الطغيان ومناصرة المرأة ومساواتها بالرجل ويخلص الى التحدث عن الادباء والذين عالجوا كل هذه الامور فيصحح بعض العقائد التاريخية فيما يتعلق بتاريخ هذه الفنون عندنا فيبرز للقاريء كاتباً مغموط الحق لا يعرفه الباحثون بله القراء وهو سليم البستاني الذي يعزو اليه ريادة هذه الفنون جميعها في ادبنا مقدما الدليل على ما ذهب اليه من رأي

كما يرد مؤلفنا الجريء على زعم الباحثين الذين يذهبون الى ان رائد الاقصوصة في ادبنا هو محمد تيمور في حين ان هنالك محاولات سبقت محاولة تيمور لا تقل عنه فنية كمحاولات سليم البستاني ونسيب مشعلاني ولبيبة هاشم بل بعضها يفوق ما كتبه تيمور ويسبقه بمراحل كأقاصيص جبران ونعيمة .

كما يظهر كذلك تخبط الباحثين في القصة التاريخية وروادها ويعجب كيف يقصرون ابحاثهم على اللامعين من الكتاب كجرجي زيدان ولا يتعرضون لسليم البستاني بخير او شر رغم انه حاول هذا النوع من القصة سنة ١٨٧١ اي قبل زيدان بعشرين عاماً .

وهكذا يمضي المؤلف في باقي الفصول فيدرس كل كاتب على حدة ناقداً قصصه نقداً يشعرك بما لديه من الثقافة المحيطة العميقة والحساسية والتنبه الوجداني والتجرد عن الميل والهوى وغير ذلك مما تتطلبه عملية النقد .



كتاب عن ابن المعتز

هل نقل نقلا أم محض صدفة ؟

يعرف الباحثون أن ابن المعتز كان مجهولا في باب الدراسات الأدبية جهلا تاما ، حتى أخرجت عام ١٩٤٥ شرحا وافيا لكتابه « البديع » ، ونشرت عام ١٩٤٦ كتابا عنوانه « رسائل ابن المعتز في الأدب والنقد والاجتماع » ، وأخرجت عام ١٩٤٨ كتابا ثالثا عنوانه « التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي » ، ثم نشرت مكتبة الحسين التجارية بالقاهرة عام ١٩٤٩ كتابي «ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان » في اربعمائة صفحة من الحجم الكبير ، فكان اول كتاب يؤلف عن دراسة ابن المعتز وحياته وجوانب ادبه وشاعريته وتآليفه وشخصيته .. وقد وزع الكتاب في جميع ارجاء العالم العربي ، وكتبت حوليات الثقافة التي تنشر في القاهرة عنه ، وأشادت به كبريات الصحف والمجلات في مصر وغيرها ..

وهذه الدراسة التي أخرجتها عن ابن المعتز كانت جديدة في تاريخنا الأدبي ، وخاصة ان ما كتب عن هذا الخليفة الشاعر كان محدوداً جداً في القديم والحديث، رغم أن ديوانه نشر منذ أمد بعيد في القاهرة وبيروت وأن كتابه «فصول التماثيل» نشر من عام ١٩٢٥، وكتابه «البديع» نشر بعد ذلك بحين ، وكتابه طبقات الشعراء طبع منذ حين قريب في اوربا .. وللدكتور طه حسين باشا بحث ممتع عن ابن المعتز ، نشر في كتابه «من حديث الشعر والنثر» ، وإن كان هذا البحث محدوداً جداً

ولكنني في العام الماضي وقع في يدي كتيب صغير عنوانه: «يوم وليلة خلافة ابن المعتز » نشرته دار العلم ببيروت للاستاذ عبد العزيز سيد الأهل، فاسفت جد الأسف لأن المؤلف عد نفسه مبتكراً بكتابته عن ابن المعتز .. وسكتت لأن هذا الكتيب اكتفى صاحبه بان كتب عليه «قصة تاريخية » وكان موضوعه « تاريخ خلافة ابن المعتز » وهو أحد الجوانب - التي بحثتها بحثا كاملا - في حياة ابن المعتز في كتابي عنه .

ومنذ ايام وقع في يدي كتاب آخر عنوانه « عبد الله بن المعتز - ادبه وعلمه » للاستاذ عبد العزيز ألأهل المفتش بالمعارف المصرية والمدرس بالكلية العاملية ببيروت، وقد نشرته دار العلم للملايين ببيروت، عام ١٩٥١ في ١٩٦ صفحة ، فاقبلت على الكتاب أقرؤه، فاذا هو صورة مشوهة لكتابي « ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان » الذي طبع من قبل في القاهرة عام ١٩٤٩

والمؤلف الفاضل في كل باب من ابواب بحثه ياخذ ما كتبته في كتابي ويقلب صورته ويخفي معالم الأخذ ، سواء في دراسته لحياة ابن المعتز او لشعره او لنثره او لشخصيته . وقد ياخذ نفس عناويني فيضعها عنوانا في كتابه .. ومع ذلك يوهم الناس في مقدمة كتابه بانه صاحب ومبتكر ذلك كله .

والمؤلف الفاضل لا يريد ان يذكر للناس شيئا ما عن كتاب ظهر قبل كتابه عن ابن المعتز، وينكر كل الانكار ان يكون احد قد درس ابن المعتز قبله ، فهو لا يشير في مصادر كتابه الى كتاب من كتبي ، وحين يعرض في كتابه لكتاب ابن المعتز « البديع » يذكر في الهامش أنه نشره كراتشوفسكي واعيد طبعه في القاهرة . اعيد طبعه فقط لا غير .. ثم هو ياخذ من كتابي «رسائل ابن المعتز» صفحات كاملات دون ان يشير اليه ولو بحرف واحد .. واذا درس موشحة ابن المعتز نفاها عنه بنفس الأدلة التي نفيت نسبة الموشحة لابن المعتز من اجلها .

إن الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل حر في ان يكتب عن ابن المعتز او لا يكتب، وإنه لو كتب عشرة من الباحثين عشرة كتب عن ابن المعتز لا يكون في ذلك شيء ما .. ولكن المؤلم ان يكتب كاتب كتابا هو صورة تامة لكتاب ظهر من قبل، وكل افكاره وموضوعاته وآرائه مأخوذة عنه .. ومع ذلك يمضي في جرأة بالغة دون ان يشير الى الكتاب الذي اخذ عنه ، او على الاقل للذي رجع اليه .

إني أعرض الامر امام ضمير الادباء ليروا رأيهم في هذه الجرأة النادرة التي لا يستبيحها لنفسه من ينتسب الى الادب ، وإنه لا ضير علي في ان يكون أديب قد فعل ذلك لو انه تفضل فاشار الى الكتاب الذي نقله نقلا ، واحتذاه احتذاء في كتابه ، ولو إشارة موجزة .. اما أن يمضي الرجل في مسلكه العجيب ، لا يحب ان يعترف بشيء مما فعل

خلاصة القول ان كتاب القصة في الادب العربي الحديث للاستاذ محمد يوسف نجم يمتاز بعدة صفات تجعله كمرجع كبير من مراجع هذا الفن اولها ان صاحبه من الباحثين المتخصصين المشهود لهم بالذوق وطول الباع وثانيها انه كتاب بكر لم يسبقه اليه احد بهذا الشمول والعمق ونضوج الرأي وثالثها انه تأريخ لعهد ضاع او هو في حكم الضائع عانى المؤلف من جرائه الواناً من المشقة وبذل الجهد لانعدام المراجع او قلتها او صعوبة الوصول اليها وررابعها ان لبنان مدين لهذا الباحث بفضل كبير لهذه العناية الطيبة بنهضة ونبوغ ابنائه .

وانه وايم الحق لتذكرة لعلماء الادب ومؤرخيه الذين لم يوجهوا العناية الصادقة الى درس الادب الحديث نرجو ان تكون فاتحة دراسات كثيرة تليها لعلها ان تسد جزءاً من هذه الثغرة الواسعة في تاريخ ادبنا الناهض .

احمد ابو سعد
من اسرة الجبل الملهم



كتاب عن ابن المعتز

هل نقل نقلا أم محض صدفة ؟

بعرف

الباحثون أن ابن المعتز كان مجهولا في باب الدراسات الأدبية جهلا تاما ، حتى أخرجت عام ١٩٤٥ شرحا وافيا لكتابه « البديع » ، ونشرت عام ١٩٤٦ كتابا عنوانه « رسائل ابن المعتز في الأدب والنقد والاجتماع » ، وأخرجت عام ١٩٤٨ كتابا ثالثا عنوانه « التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي » ، ثم نشرت مكتبة الحسين التجارية بالقاهرة عام ١٩٤٩ كتابي «ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان » في اربعمائة صفحة من الحجم الكبير ، فكان اول كتاب يؤلف عن دراسة ابن المعتز وحياته وجوانب ادبه وشاعريته وتآليفه وشخصيته .. وقد وزع الكتاب في جميع ارجاء العالم العربي ، وكتبت حوليات الثقافة التي تنشر في القاهرة عنه ، وأشادت به كبريات الصحف والمجلات في مصر وغيرها ..

وهذه الدراسة التي أخرجتها عن ابن المعتز كانت جديدة في تاريخنا الأدبي ، وخاصة ان ما كتب عن هذا الخليفة الشاعر كان محدوداً جداً في القديم والحديث، رغم أن ديوانه نشر منذ أمد بعيد في القاهرة وبيروت وأن كتابه « فصول التماثيل» نشر من عام ١٩٢٥، وكتابه «البديع» نشر بعد ذلك بحين ، وكتابه طبقات الشعراء طبع منذ حين قريب في اوربا .. وللدكتور طه حسين باشا بحث ممتع عن ابن المعتز ، نشر في كتابه «من حديث الشعر والنثر» ، وإن كان هذا البحث محدوداً جداً

ولكنني في العام الماضي وقع في يدي كتيب صغير عنوانه: «يوم وليلة خلافة ابن المعتز » نشرته دار العلم ببيروت للاستاذ عبد العزيز سيد الأهل، فاسفت جد الأسف لأن المؤلف عد نفسه مبتكراً بكتابته عن ابن المعتز .. وسكتت لأن هذا الكتيب اكتفى صاحبه بان كتب عليه «قصة تاريخية » وكان موضوعه « تاريخ خلافة ابن المعتز » وهو أحد الجوانب - التي بحثتها بحثا كاملا - في حياة ابن المعتز في كتابي عنه .

ومنذ ايام وقع في يدي كتاب آخر عنوانه « عبد الله بن المعتز - ادبه وعلمه » للاستاذ عبد العزيز الأهل المفتش بالمعارف المصرية والمدرس بالكلية العاملية ببيروت، وقد نشرته دار العلم للملايين ببيروت، عام ١٩٥١ في ١٩٦ صفحة ، فاقبلت على الكتاب أقرؤه، فاذا هو صورة مشوهة لكتابي « ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان » الذي طبع من قبل في القاهرة عام ١٩٤٩

والمؤلف الفاضل في كل باب من ابواب بحثه ياخذ ما كتبته في كتابي ويقلب صورته ويخفي معالم الأخذ ، سواء في دراسته لحياة ابن المعتز او لشعره او لنثره او لشخصيته .وقد ياخذ نفس عناويني فيضعها عنوانا في كتابه .. ومع ذلك يوهم الناس في مقدمة كتابه بانه صاحب ومبتكر ذلك كله .

والمؤلف الفاضل لا يريد ان يذكر للناس شيئا ما عن كتاب ظهر قبل كتابه عن ابن المعتز، وينكر كل الانكار ان يكون احد قد درس ابن المعتز قبله ، فهو لا يشير في مصادر كتابه الى كتاب من كتبي ، وحين يعرض في كتابه لكتاب ابن المعتز « البديع » يذكر في الهامش أنه نشره كراتشوفسكي واعيد طبعه في القاهرة..اعيد طبعه فقط لا غير.. ثم هو ياخذ من كتابي «رسائل ابن المعتز» صفحات كاملات دون ان يشير اليه ولو بحرف واحد .. واذا درس موشحة ابن المعتز نفاها عنه بنفس الأدلة التي نفيت نسبة الموشحة لابن المعتز من اجلها .

إن الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل حر في ان يكتب عن ابن المعتز او لا يكتب، وإنه لو كتب عشرة من الباحثين عشرة كتب عن ابن المعتز لا يكون في ذلك شيء ما .. ولكن المؤلم ان يكتب كاتب كتابا هو صورة تامة لكتاب ظهر من قبل، وكل افكاره وموضوعاته وآرائه مأخوذة عنه..ومع ذلك يمضي في جرأة بالغة دون ان يشير الى الكتاب الذي اخذ عنه ، او على الاقل للذي رجع اليه .

إني أعرض الامر امام ضمير الادباء ليروا رأيهم في هذه الجرأة النادرة التي لا يستبيحها لنفسه من ينتسب الى الادب ، وإنه لا ضير علي في ان يكون أديب قد فعل ذلك لو انه تفضل فاشار الى الكتاب الذي نقله نقلا ، واحتذاه احتذاء في كتابه ، ولو إشارة موجزة.. اما أن يمضي الرجل في مسلكه العجيب ، لا يحب ان يعترف بشيء مما فعل

خلاصة القول ان كتاب القصة في الادب العربي الحديث للاستاذ محمد يوسف نجم يمتاز بعدة صفات تجعله كمرجع كبير من مراجع هذا الفن اولها ان صاحبه من الباحثين المتخصصين المشهود لهم بالذوق وطول الباع وثانيها انه كتاب بكر لم يسبقه اليه احد بهذا الشمول والعمق ونضوج الرأي وثالثها انه تأريخ لعهد ضاع او هو في حكم الضائع عانى المؤلف من جرائه الواناً من المشقة وبذل الجهد لانعدام المراجع او قلتها او صعوبة الوصول اليها ورابعها ان لبنان مدين لهذا الباحث بفضل كبير لهذه العناية الطيبة بنهضة ونبوغ ابنائه .

وانه وايم الحق لتذكرة لعلماء الادب ومؤرخيه الذين لم يوجهوا العناية الصادقة الى درس الادب الحديث نرجو ان تكون فاتحة دراسات كثيرة تليها لعلها ان تسد جزءاً من هذه الثغرة الواسعة في تاريخ ادبنا الناهض .

احمد ابو سعد
من اسرة الجبل الملهم

جولة الأديب في شهر

حول « لمن ؟ »

نشر فيما يلي شاكرين، ما تلطف بكتابته الأساتذة الادباء والنقاد، وما نشرته الزميلات الكريمات عن « لمن ؟ » وهي مجموعة من الشعر الرمزي الطلق - لألبير أديب - مزينة بالرسوم الملونة بريشة الفنانة شهرزاد - ١٢٠ صفحة - ورق صقيل - اخراج فاخر - منشورات دار المعارف بمصر

***

إذا صدقت نظرة المحدثين من علماء الادب في أن الشعر كان أول آثار الادب الانشائي، فان في أصالته وجود الاوزان والقوافي. لانه كما يقول هؤلاء العلماء، متحدر من الرقص والموسيقى منذ رقصت الامم البدائية وتغنت.

وعلى ذلك قد توارث الشعر الامم حاضراً عن غابر في صورة منظومات خاضعة للوزن والقافية والمقاييس، ومن خلال أدب الامم اناس نفضوا عنهم ثقل هذه المقاييس فآثروا الحرية في الشعر والانطلاق من قيوده. لقد أحبوا الخلاص من أصفاد الالفاظ، فجاءوا بضرب من الكلام سموه الشعر المطلق، وقد صنع هذا نفر في أدب الغربيين، وجاء سائغاً ما صنعه بودلير في قصائده المسكوبة نثراً. حتى كان عصرنا وادبنا الحديث فهبت طائفة من المحدثين العرب تصنع هذا الصنع في آثارها. تنطلق من أصفاد البحور العربية وموازين القريض، وقد ضلت سبيلها، فلا هي احسنت المضي مع الاوائل، ولا هي جاءت بمعجب جديد فساء حكمي على هذه الطبقة وانصرفت عن قراءة آثارها. حتى أخذ الاستاذ البير أديب، احد بناة الادب الحديث في لبنان يجري على هذا الغرار، فاعاد الى نفسي الامل واصبحت اذا قرأت له شيئاً او بعض شيء فيما كان يطرحه مطارح هذا الكلام في التعبير عن خواطر نفسه وخوالجها، احس الراحة لما اقرأ، او ينطلق فكري وراء معانيه السائغة.

وقد اخرجت له دار المعارف بمصر بالامس مجموعة من هذا الشعر الرمزي المطلق، فمضيت في قراءتها حتى اتيت عليها فاذا انا تلقاء مسرح فني يترامى على الآفاق، وتتماوج فيه تهاويل الحياة والموت والشعور والهواجس. ولا اشك في ان كل كلمة من كلماته كانت تحمل التعبير المشبع الذي أراده صاحبها، وههنا أجدني في حيرة من امر النقد والافاضة بما اشعر، فنحن أحببنا الشعر الموزون المقفى الذي يصور البدائع ويبعث روح الفن في الوجود ويثير أنماطاً من التفكير الذي لا تعسف فيه، وقد ألفنا هذا الشعر الذي وصل الينا مع مواريثنا العريقة في تاريخ ادبنا العربي منذ امرىء القيس الى شوقي. فاذا هتف شاد بشعر غير موزون ولا عليه قافية لم نطرب له، وما وجدنا الى اليوم المغنى الذي يجسر على الصيحة بتلاحين غير موزونة، وفيم يصنع المغنى ذلك وليس له ما يستقر عليه من الانغام بعد ان يفتقد الوزن والقافية، وكيف يستطيع شاعر ان يقوله وقد تعطل لديه عنصراه الاصيلان. ما أشبه هذا الشاعر وذاك المغني بطير مقصوص الجناحين. كل ذلك مواريث وعادات صقل الزمن شاعريتنا عليها وعودنا ان نأنس بالشعر وهو متدثر في بردين من الوزن والقافية لكن هذا الميراث حين يبدو لنا عارياً يفزعنا منظره لانا لم نألف عريه. فهو كالشجرة، جمالها بورقها واثمارها، ولو ان هذه الآثار حين خلقت خلقت عارية فرعاء حتى ألفنا عريها وانطلاق غصونها، لنبا الطرف عنها وهي كاسية مثمرة. كل ذلك اقوله لا لادافع عن كتاب ظهر حديثاً في عالم الادب، ولا لاصد عنه ما قد يكون من تيار الناقدين حيث يثورون مستمسكين بميراث الوزن والقافية، فليس في جانب الرضاء عن هذا الشعر إلا القليل ممن لا تعوق أذواقهم فروض البحور. لقد قرأت كتاب «لمن» فبدا لي عمق في ما اقرأ وخيال وثاب. ترى اكان يسحرنا الشعراء كثيراً بتنميق الوزن وتزويق القافية وتسابيح الصناعة حتى كنا نتشهى ذلك الطعام من كثرة ما عليه من أفاويه وتوابل. لقد جاءنا الاستاذ البير أديب بشعر منثور كأنه ازاهير لا تضمها طاقة، او كحبات لا ينتظمها سلك على جيد، وإنما يضعها صاحبها على راحتيه متوهجة سابية. هنالك يصح ان يعطى الحكم الحق على القول وهو يبدو شعوراً محضاً وفكراً مجرداً.

حين انتهيت من قراءة القطعة التي عنوانها « أنغام والحان » اخذت افك الرموز التي نسجها عليها قائلها، فتراءى لي الشاعر الذي قصده وصوره. كذلك كانت تسبح روحي في تهاليل ذلك

جولة الأديب في شهر

حول « لمن ؟ »

ننشر فيما يلي شاكرين ، ما تلطف بكتابته الأساتذة الادباء والنقاد ، وما نشرته الزميلات الكريمات عن « لمن ؟ » وهي مجموعة من الشعر الرمزي المطلق - لألبير أديب - مزينة بالرسوم الملونة بريشة الفنانة شهرزاد - ١٢٠ صفحة - ورق صقيل - اخراج فاخر - منشورات دار المعارف بمصر

***

اذا صدقت نظرة المحدثين من علماء الادب في أن الشعر كان أول آثار الادب الانشائي ، فان في أصالته وجود الاوزان والقوافي. لانه كما يقول هؤلاء العلماء ، متحدر من الرقص والموسيقى منذ رقصت الامم البدائية وتغنت.

وعلى ذلك قد توارثت الشعر الامم حاضراً عن غابر في صورة منظومات خاضعة للوزن والقافية والمقاييس ، ومن خلال أدب الامم اناس نفضوا عنهم ثقل هذه المقاييس فآثروا الحرية في الشعر والانطلاق من قيوده. لقد أحبوا الخلاص من أصفاد الالفاظ ، فجاءوا بضرب من الكلام سموه الشعر المطلق ، وقد صنع هذا نفر في أدب الغربيين ، وجاء سائغاً ما صنعه بودلير في قصائده المسكوبة نثراً . حتى كان عصرنا وادبنا الحديث فهبت طائفة من المحدثين العرب تصنع هذا الصنع في آثارها . تنطلق من أصفاد البحور العربية وموازين القريض ، وقد ضلت سبيلها ، فلا هي احسنت المضي مع الاوائل ، ولا هي جاءت بمعجب جديد فساء حكمي على هذه الطبقة وانصرفت عن قراءة آثارها . حتى أخذ الاستاذ البير أديب ، احد بناة الادب الحديث في لبنان يجري على هذا الغرار ، فاعاد الى نفسي الامل واصبحت اذا قرأت له شيئاً او بعض شيء فيما كان يطرحه مطارح هذا الكلام في التعبير عن خواطر نفسه وخوالجها ، احس الراحة لما اقرأ ، او ينطلق فكري وراء معانيه السائغة .

وقد اخرجت له دار المعارف بمصر بالامس مجموعة من هذا الشعر الرمزي المطلق ، فقضيت في قراءتها حتى اتيت عليها فاذا انا تلقاء مسرح فني يترامى على الآفاق ، وتتماوج فيه تهاويل الحياة والموت والشعور والهواجس . ولا اشك في ان كل كلمة من كلماته كانت تحمل التعبير المشبع الذي أراده صاحبها ، وهنها أجدني في حيرة من امر النقد والافاضة بما اشعر ، فنحن أحببنا الشعر الموزون المقفى الذي يصور البدائع ويبعث روح الفن في الوجود ويثير أنماطاً من التفكير الذي لا تعسف فيه ، وقد ألفنا هذا الشعر الذي وصل الينا مع مواريثنا العريقة في تاريخ ادبنا العربي منذ امرىء القيس الى شوقي . فاذا هتف شاد بشعر غير موزون ولا عليه قافية لم نطرب له ، وما وجدنا الى اليوم المغني الذي يجسر على الصيحة بتلاحين غير موزونة ، وفيم يصنع المغني ذلك وليس له ما يستقر عليه من الانغام بعد ان يفتقد الوزن والقافية ، وكيف يستطيع شاعر ان يقوله وقد تعطل لديه عنصرا الاصيلان . ما أشبه هذا الشاعر وذاك المغني بطير مقصوص الجناحين . كل ذلك مواريث وعادات صقل الزمن شاعريتنا عليها وعودنا ان نأنس بالشعر وهو متدثر في بردين من الوزن والقافية لكن هذا الميراث حين يبدو لنا عارياً يفزعنا منظره لانا لم نألف معريه . فهو كالشجرة ، جمالها بورقها وأثمارها ، ولو ان هذه الآثار حين خلقت خلقت عارية فرعاء حتى ألفنا عريها وانطلاق غصونها ، لنبا الطرف عنها وهي كاسية مثمرة . كل ذلك اقوله لا لادافع عن كتاب ظهر حديثاً في عالم الادب ، ولا لاصد عنه ما قد يكون من تيار الناقدين حيث يثورون مستمسكين بميراث الوزن والقافية ، فليس في جانب الرضاء عن هذا الشعر إلا القليل ممن لا تعوق أذواقهم فروض البحور . لقد قرأت كتاب « لمن » فبدا لي عمق في ما اقرأ وخيال وثاب . ترى اكان يسحرنا الشعراء كثيراً بتنميق الوزن وتزويق القافية وتسابيح الصناعة حتى كنا نتشهى ذلك الطعام من كثرة ما عليه من أفاويه وتوابل . لقد جاءنا الاستاذ البير أديب بشعر منثور كأنه ازاهير لا تضمها طاقة ، او كحبات لا ينتظمها سلك على جيد ، وإنما يضعها صاحبها على راحتيه متوهجة سابية . هنالك يصح ان يعطى الحكم الحق على القول وهو يبدو شعوراً محضاً وفكراً مجرداً .

حين انتهيت من قراءة القطعة التي عنوانها « أنغام والحان » اخذت افك الرموز التي نسجها عليها قائلها ، فتراءى لي الشاعر الذي قصده وصوره . كذلك كانت تسبح روحي في تهاليل ذلك

الشاعر حين كنا تحت جنح مساء يقرأ لنا قصائده . وكنت مثل الاستاذ البير أديب يخشع قلبي لانشاده . وكنت اتخيل عند تلك العشيات اللبنانية انه احد حفدة آبولون وقد تحدر الى شطوط بيروت من صوب جبال الاغريق .

لا أشك في ان الاستاذ البير أديب قد تأثر حيناً من الزمن في اقواله هذه بمنظومات بيير لوئيس ، وخاصة اغاني بيليتيس القبرصية . ففي اقوال بيليتيس وصديقتها منازيديكا تلاوين من هذه الرموز الحلوة المتماوجة التي يشرد الذهن وراءها بعيداً او يغط وجوده في بحار من الفكر والشعور والتصور . كما سيطر على الاستاذ اديب روح ميثولوجية منتزعة من الادب اليوناني . ولقد بحثت في المجموعة على تعبير يجيء موزوناً فلم اجده . ولست استغرب نسق الاداء في إيراد العبارة تحت العبارة في جملة او كلمات او كلمة ، ذلك لامهال القارىء في إساغة المعنى والتدبر ، او لان كل تعبير له اندفاعه الفني عند قائله ولدى سامعه . ولم يكن هذا ضائراً . ولو مضى الكلام بعضه الى جانب بعض لجاء مقالا ولم يكتسب صفة الشعر الرمزي . وحيثما جولت في هذه المجموعة الاخاذة كانت تمر بخاطري مسارد من اقوال التوراة والانجيل ؛ فان الطوابع قد تتشابه علي . وكم خاطر في انشودة الاناشيد او مزامير داود كنت اوثر ان يُكتب لنا بمثل لغة البير أديب التي فيها دقة وصقل وصفاء .

اما اسم المجموعة فهو « لمن » ؟ . ولهذا اللفظ الوف الاجابات . إنه مثل صوت بين الف جبل كل جبل يردد صداه ، فلمن الهوى ؟ ولمن الشكوى ؟ ولمن يقال هذا الشعر ؟ ألعارفيه ام لمنكريه ، ام يروح مثل نغمات شريدة في وادي الزمان ، تبكي فيها الاحلام ، او تضحك لها الاوهام .

« الثقافة » القاهرة — زكي المحاسني

هذا كتيب صغير الحجم ، انيق الطباعة ، صقيل الورق ، يتخلل صفحاته عدد من الرسوم الرمزية الملونة ، الى جانب القصائد الرمزية الثلاث والثلاثين التي تشق بمجاذيفها العباب ما بين دفتيه . وعلى الغلاف رسم رمزي ، فيه وجه امرأة ساهم حزين ، وورود ، وسنابل ، وخطوط من شعاع ، يتخللها سؤال هو عنوان الكتاب « لمن ؟ » .

اما الناشر فدار المعارف في مصر ، واما المؤلف الشاعر فهو البير أديب . وليس في الادباء من يجهل صاحب مجلة « الاديب » وجهاده الصامت الدؤوب في سبيل كرامة الادب ، وكرامة القلم والفكر ، والمستوى الادبي العالي الذي تحافظ عليه مجلة « الاديب » في وقت اصبحت القيمة كلها لادب الشهوة والصورة العارية .

والبير اديب شاعر رمزي ، يطل من حين الى آخر على قراء « الاديب » بقطعة قصيرة من شعره الرمزي ، قد يتضح للقراء معناها حيناً ، وقد يغيم احياناً . وها هو اليوم يجمع قصائده في في هذا الكتاب الصغير ، ويقدمه ، الى القراء .

هؤلاء الشعراء الذين يهمسون في النفس برموز من الموسيقى الحلوة المجنحة وخطوط ملونة من رسوم خيالاتهم ، انني احبهم ، واصيخ سمعي الى الحانهم التي تتوارد على السمع من بعيد بعيد ، كالاصداء المترددة في قراءة حلم جميل ، ولكنني امضي وراء الحان ابحث عنها واجهد رجلي في المسير ، فلا تزداد الالحان الا ابتعاداً ، وفي ابتعادها اغراء جميل ، وكلما حسبتني وصلت ، رأيت رجلي لا تزالان تنقران حصى الطريق بشرود دؤوب .

لكم اتمنى لو استطيع ان اصل الى ما وراء مدى النغم الهامس الى الحس الواعي المدرك لمدى الايقاع ... ولكن هل سيبقى لهذه الالحان جمالها كاملا حينما اصل الى القرارة التي تصدر عنها ؟ وهل اظل احس هناك بالفوح والصفاء والرفرفة تبعثها هذه الرموز اللفظية المترقرقة بالالحان والالوان ؟

هذه مجموعة صديقي البير تطالعني بغلافها الصغير الجميل ، وحين اقلب الصفحات الصقيلة ، تشع لعيني رسومها الملونة وسطورها القلائل المنسقة بهندسة وذوق ، كباقات الورد على موائد الولائم وحين اجول بين السطور مطالعاً ، احس بدغدغة ناعمة ، وهمس ، ورفيف ، ولكنه شعور يصل الى القلب عن طريق السمع لا البصر ، فالالفاظ المغلفة ، كأنها براعم اول الربيع ، توحي ولكنها لا تبوح وتهمس من بعيد ، ولكن من وراء نقاب ضبابي .

كل لفظة تؤلف رنة وتر ، وسكبة من ظل ، ومن مجموع الالفاظ في العبارة الواحدة يتألف لحن جميل . وجزء من لوحة .

وكل عبارة تؤلف لحناً وغمسة ريشة ، ومن مجموع العبارات في القصيدة الواحدة تتألف ملحنة تزخر بالحس النشوان ، ولوحة تموج بالالوان .

وهذه ميزة الشعر الرمزي الجميل : انه موسيقى توحي ولا تبوح وتهمس في النفس من بعيد ، من وراء نقاب ضبابي حلو . انه رقرقة الصوت في النغم ، ورقرقة اللون في الصورة ؛ هو

الشاعر حين كنا تحت جنح مساء يقرأ لنا قصائده . وكنت مثل الاستاذ البير أديب يخشع قلبي لانشاده . وكنت اتخيل عند تلك العشيات اللبنانية انه احد حفدة آبولون وقد تحدر الى شطوط بيروت من صوب جبال الاغريق .

لا أشك في ان الاستاذ البير أديب قد تأثر حيناً من الزمن في اقواله هذه بمنظومات بيير لوئيس ، وخاصة اغاني بيليتيس القبرصية . ففي اقوال بيليتيس وصديقتها منازيديكا تلاوين من هذه الرموز الحلوة المتماوجة التي يشرد الذهن وراءها بعيداً او يغط وجوده في بحار من الفكر والشعور والتصور . كما سيطر على الاستاذ اديب روح ميثولوجية منتزعة من الادب اليوناني .

ولقد بحثت في المجموعة على تعبير يجيء موزوناً فلم اجده. ولست استغرب نسق الاداء في إيراد العبارة تحت العبارة في جملة او كلمات او كلمة ، ذلك لامهال القارىء في إساغة المعنى والتدبر ، او لان كل تعبير له اندفاعه الفني عند قائله ولدى سامعه. ولم يكن هذا ضائراً . ولو مضى الكلام بعضه الى جانب بعض لجاء مقالا ولم يكتسب صفة الشعر الرمزي . وحيثما جولت في هذه المجموعة الاخاذة كانت تمر بخاطري مسارد من اقوال التوراة والانجيل؛ فان الطوابع قد تتشابه علي . وكم خاطر في انشودة الاناشيد او مزامير داود كنت اوثر ان يُكتب لنا بمثل لغة البير أديب التي فيها دقة وصقل وصفاء .

اما اسم المجموعة فهو « لمن » ؟ . ولهذا اللفظ الوف الاجابات . إنه مثل صوت بين الف جبل كل جبل يردد صداه ، فلمن الهوى ؟ ولمن الشكوى ؟ ولمن يقال هذا الشعر ؟ ألعارفيه ام لمنكريه ، ام يروح مثل نغمات شريدة في وادي الزمان ، تبكي فيها الاحلام ، او تضحك لها الاوهام .

« الثقافة » القاهرة — زكي المحاسني

هذا كتيب صغير الحجم ، انيق الطباعة، صقيل الورق ، يتخلل صفحاته عدد من الرسوم الرمزية الملونة ، الى جانب القصائد الرمزية الثلاث والثلاثين التي تشق بمجاذيفها العباب ما بين دفتيه . وعلى الغلاف رسم رمزي ، فيه وجه امرأة ساهم حزين ، وورود ، وسنابل ، وخطوط من شعاع ، يتخللها سؤال هو عنوان الكتاب « لمن ؟ ».

اما الناشر فدار المعارف في مصر، واما المؤلف الشاعر فهو البير أديب . وليس في الادباء من يجهل صاحب مجلة « الاديب » وجهاده الصامت الدؤوب في سبيل كرامة الادب ، وكرامة القلم والفكر، والمستوى الادبي العالي الذي تحافظ عليه مجلة «الاديب» في وقت اصبحت القيمة كلها لادب الشهوة والصورة العارية .

والبير اديب شاعر رمزي ، يطل من حين الى آخر على قراء « الاديب » بقطعة قصيرة من شعره الرمزي ، قد يتضح للقراء معناها حيناً ، وقد يغيم احياناً . وها هو اليوم يجمع قصائده في هذا الكتاب الصغير ، ويقدمه ، الى القراء .

هؤلاء الشعراء الذين يهمسون في النفس برموز من الموسيقى الحلوة المجنحة وخطوط ملونة من رسوم خيالاتهم ، انني احبهم ، واصيخ سمعي الى الحانهم التي تتوارد على السمع من بعيد بعيد ، كالاصداء المترددة في قراءة حلم جميل ، ولكنني امضي وراء الحان ابحث عنها واجهد رجلي في المسير ، فلا تزداد الالحان الا ابتعاداً ، وفي ابتعادها اغراء جميل ، وكلما حسبتني وصلت، رأيت رجلي لا تزالان تتقران حصى الطريق بشرود دؤوب .

لكم اتمنى لو استطيع ان اصل الى ما وراء مدى النغم الهامس الى الحس الواعي المدرك لمدى الايقاع ... ولكن هل سيبقى لهذه الالحان جمالها كاملا حينما اصل الى القرارة التي تصدر عنها ؟ وهل اظل احس هناك بالفوح والصفاء والرفرفة تبعثها هذه الرموز اللفظية المترقرقة بالالحان والالوان ؟

هذه مجموعة صديقي البير تطالعني بغلافها الصغير الجميل، وحين اقلب الصفحات الصقيلة ، تشع لعيني رسومها الملونة وسطورها القلائل المنسقة بهندسة وذوق ، كباقات الورد على موائد الولائم وحين اجول بين السطور مطالعاً، احس بدغدغة ناعمة، وهمس، ورفيف ، ولكنه شعور يصل الى القلب عن طريق السمع لا البصر ، فالالفاظ المغلقة ، كأنها براعم اول الربيع ، توحي ولكنها لا تبوح وتهمس من بعيد، ولكن من وراء نقاب ضبابي .

كل لفظة تؤلف رنة وتر ، وسكبة من ظل ، ومن مجموع الالفاظ في العبارة الواحدة يتألف لحن جميل. وجزء من لوحة.

وكل عبارة تؤلف لحناً وغمسة ريشة ، ومن مجموع العبارات في القصيدة الواحدة تتألف ملحنة تزخر بالحس النشوان ، ولوحة تموج بالالوان .

وهذه ميزة الشعر الرمزي الجميل : انه موسيقى توحي ولا تبوح وتهمس في النفس من بعيد ، من وراء نقاب ضبابي حلو. انه رقرقة الصوت في النغم ، ورقرقة اللون في الصورة ، هو

نشوة في الحس، وحيرة ذاهلة في الوعي.

ومن حين الى آخر يطل وجه من خلف الضباب المسحور، فاذا ابتسامة تنفح الطيب، وترش الصفاء، وتتدفق بالرؤى الحلوة.

من ذلك قصيدة «حياتنا» في مطلع الكتاب :

حياتنا شباب وفكر اخضر
وعواطف من عمل الربيع
وقلوب من ندى الفجر ...
نجمها ونغسل بها أرض الأزقة
او نروي بها رمال الصحراء
هي ليلة تم ضحاها
واذا الزوبعه تذهب بنا
فتاخذ مناكل احلامنا وامانينا
ونحن على قدم الهاوية او اقل
ما زلنا نؤسس ونبني ونقيم
فما اسخفنا
الا نجعل ايامنا ابتسامة
ونقيم علينا ربا
يعرف كيف يجملنا نبتسم
حتى لأنفسنا

ومنها ايضاً قصيدة «يتيم» :

أبي ... كلة رددها الصدى على اذني
وغص بها فؤادي
حدثتني امي عن كبريائها
فعركتني الحياة بكبريائي ...
ماض كون في نفسي معنى الخيلاء
أبي ... ومن ترى يكون ؟
لم يكن ابي بغيري
انا المجد التليد
أنا انطلاق الرجاء ...

ومنها «قلق» التي تصور قلق الفنان على فنه الذي يذيب فيه عمره وقلبه، وخوفه من ان يكون مصيره الى العقوق والنسيان، وقصيدة «اشباح من الناس» التي تصور باشمئزاز واحتقار

اولئك الذين لفظتهم الكرامات
يمرغون وجوههم بالأوحال
ويتلوون كالأفاعي
حتى تستقر جباههم على الأقدام
وشفاههم على النعال
فيسترسلون في تقبيلها ويمعنون

وما اكثر هؤلاء الناس في الحياة.

سيكونون قليلين اولئك الذين سترافق نبضات قلوبهم مرامي العبارات في قصائد صاحب الاديب، ولكن الذين يسيرون ذاهلين وراء الالحان البعيدة الهمس، والخطوط التي لا تبوح الا كوشوشة النسيم سيكونون كثيرين، وهم الذين تذوب قلوبهم امام لمسات الفن سواء كانت خطاً في رسم او رنة في وتر، او همسة في لفظة.

«الحوادث» عماد عيسى الناعوري

بين يدينا اليوم هذه المجموعة الانيقة من الشعر الطلق لمؤلفها الكبير الاستاذ البير اديب. وجدير بنا في هذا المقام ان نقف وقفتين: وقفة امام شخصية المؤلف الفاضل، واخرى امام المجموعة الشعرية نفسها.

اما صديقنا المؤلف الاستاذ البير اديب فترجع معرفتي به الى بضعة عشر عاماً، يوم ان كان مديراً عاماً للاذاعة في سوريا ولبنان، يديرها بحذق وكفاءة ومهارة، ويوجهها التوجيه الادبي الصالح، فاذا به بين عشية وضحاها ينطلق من جو الاذاعة لينصرف الى خدمة الادب الصحيح والفكر الناضج، فيصدر مجلته الكبرى «الاديب» والعالم يسوده جو الحديد والنار، والحرب تكاد تلتهم الاخضر واليابس، فاذا بالاديب تعطر الجو بعد تجهم، وتوحي الى النفس بالهدوء والسكينة.

وظل البير اديب يجاهد ويناضل حتى بلغ بمجلته الذروة، واضحت تنافس اكبر المجلات الادبية في العالم العربي وتنكرت الحكومات للاديب وصاحب «الاديب» وحجبت عنه شتى المساعدت، ووضعت



نشوة في الحس، وحيرة ذاهلة في الوعي.

ومن حين الى آخر يطل وجه من خلف الضباب المسحور، فاذا ابتسامة تنفح الطيب، وترش الصفاء، وتتدفق بالرؤى الحلوة.

من ذلك قصيدة «حياتنا» في مطلع الكتاب:

حياتنا شباب وفكر اخضر
وعواطف من عمل الربيع
وقلوب من ندى الفجر ...
نجمها ونغسل بها أرض الأزقة
او نروي بها رمال الصحراء
هي ليلة تم ضحاها
واذا الزوبعة تذهب بنا
فتاخذ مننا كل احلامنا واماننا
ونحن على قدم الهاوية او اقل
ما زلنا نؤسس ونبني ونقيم
فما اسخفنا
الا نجعل ايامنا ابتسامة
ونقيم علينا ربا
يعرف كيف يجعلنا نبتسم
حتى لانفسنا

ومنها ايضاً قصيدة «يتيم»:

أبي ... كلمة رددها الصدى على اذني
وغص بها فؤادي
حدثتني امي عن كبريائها
فحركتني الحياة بكبريائي ...
ماض كون في نفسي معنى الخيلاء
أبي ... ومن ترى يكون؟
لم يكن ابي بغيري
انا المجد التليد
أنا انطلاق الرجاء ...

ومنها «قلق» التي تصور قلق الفنان على فنه الذي يذيب فيه عمره وقلبه، وخوفه من ان يكون مصيره الى العقوق والنسيان، وقصيدة «اشباح من الناس» التي تصور باشمئزاز واحتقار

اولئك الذين لفظتهم الكرامات
يمرغون وجوههم بالأوحال
ويتلوون كالأفاعي
حتى تستقر جباههم على الأقدام

وشفاههم على النعال
فيسترسلون في تقبيلها ويمنون

وما اكثر هؤلاء الناس في الحياة.

سيكونون قليلين اولئك الذين سترافق نبضات قلوبهم مرامي العبارات في قصائد صاحب الاديب، ولكن الذين يسيرون ذاهلين وراء الالحان البعيدة الهمس، والخطوط التي لا تبوح الا كوشوشة النسيم سيكونون كثيرين، وهم الذين تذوب قلوبهم امام لمسات الفن سواء كانت خطاً في رسم او رنة في وتر، او همسة في لفظة.

«الحوادث» عماد عيسى الناعوري

بين يدينا اليوم هذه المجموعة الانيقة من الشعر الطلق لمؤلفها الكبير الاستاذ البير اديب. وجدير بنا في هذا المقام ان نقف وقفتين: وقفة امام شخصية المؤلف الفاضل، واخرى امام المجموعة الشعرية نفسها.

اما صديقنا المؤلف الاستاذ البير اديب فترجع معرفتي به الى بضعة عشر عاماً، يوم ان كان مديراً عاماً للاذاعة في سوريا ولبنان، يديرها بحذق وكفاءة ومهارة، ويوجهها التوجيه الادبي الصالح، فاذا به بين عشية وضحاها ينطلق من جو الاذاعة لينصرف الى خدمة الادب الصحيح والفكر الناضج، فيصدر مجلته الكبرى «الاديب» والعالم يسوده جو الحديد والنار، والحرب تكاد تلتهم الاخضر واليابس، فاذا بالاديب تعطر الجو بعد تجهم، وتوحي الى النفس بالهدوء والسكينة.

وظل البير اديب يجاهد ويناضل حتى بلغ بمجلته الذروة، واضحت تنافس اكبر المجلات الادبية في العالم العربي وتنكرت الحكومات للاديب وصاحب «الاديب» وحجبت عنه شتى المساعدت، ووضعت

في سبيله العثرات والعصي ، ولكن مجلة « الاديب » ظلت تسير بهدوء ورباطة جأش دون ان تعبأ او تبالي .

لقد ثبت البير أديب ثبات الابطال فاستحق اعجاب قراء العربية وتأييدهم ، واعطى الدليل القاطع على رجولته وعزيمته . وها هي «الاديب» تصدركل شهر وتوزع فيكل بلد عربي ومعظم البلاد العربية لتعطي صورة صادقة عن لبنان ، البلد العربي الابي

هذه لمحة قصيرة عن صاحب « لمن ؟ » اما المجموعة نفسها ، فدليل قاطع على الذوق الذي يتميز به الاستاذ البير أديب . انها مثال لاناقة الطبع وجودة الاخراج . اضف الى ذلك الصور الرمزية البديعة ، التي تختال بين مقطوعات المؤلف الفاضل . والاستاذ البير برع بهذا النوع من الشعر الطلق ، فهو يصور به احاسيسه ومشاعره ويعبر عنها باجمل المعاني والطف الالفاظ . انه نوع من الشعر قل من يحسنه في العربية . ومن يزاولونه من الكتاب لا يدرك معظمهم معنى لما يكتب،فهو شعر ـ في نظرهم ـ قد تحرر من قيد الوزن والقافية ، ولا مانع ـ في نظرهم ايضاً ـ ان يتحرر من قوة المعنى وجمال المبنى !!

انه شعر جميل عذب هذا الذي يقدمه الينا صاحب «الاديب» في مجموعته الشعرية هذه ، فاذا ما دعوت قراء العربية الى اقتنائها فما احسبني قد دعوتهم الا الى مائدة من الفاكهة النضرة الشهية .

« الدنيا » دمشق **عبد الغني العطري**

رئيس تحرير الدنيا وصاحبها

لمن

ديوان امل وفرح ...

كثيراً ما اتساءل عندما اقرأ هؤلاء الفنانين: احقاً هذا كل شيء؟..والمح من خلال ما اقرأ آلاماً لا حد لها،او افراحاً اعمق من القدر !.. فليس ما بين ايدينا الا صورة لبعض تلك الالام والافراح ، بل لمحة خاطفة تكاد تكون عابره !..فالفنان لا يعطي كل ما بنفسه ، وفي رأيي انه لو فعل لاستنفد ما في ذاته من دوافع ، ففقد ما يميزه كفنان . فهو دائماً يستبقي اعمق ما في نفسه من احزان او افراح ، لنفسه . ذلك لانه يدرك ان على النفوس الكبيرة ان لا تذيع الاضطراب الذي تستشعره . ـ والاضطراب حالة من القلق، قلق الفرح العميق او الحزن العميق ـ ولانه يعرف ان المجتمع ،انى كان ، لا يدرك حقيقة احاسيسه . ولعل هذه المآسي والافراح التي يكتمها في نفسه ، العوامل الصادقة العميقة في تكوين فنه!..وما اروع ذلك الخشوع في محراب هذه المشاعر الخبيئة،ساعة يلجأ الفنان الى نفسه فيعتريه القلق، امام ما يخط من احاسيسها ، او يستبقي كامناً في حناياه ..

يلومونك يا اخي البير احياناً، وما رأيت انساناً يلومك وهو يعرف ما يفعل ؟.. لا بأس يا اخي ! فالفنان ابداً في صراع مع قرائه ، وكثيرون من يهابون مواجهة القارىء، فيكتبون له ما يريد ، لا ما يشعرون ، فينحدرون . وهؤلاء ليسوا بفنانين ، فالفنان الحق ، لا يهمه الا طلب الحقيقة الازلية ولن يبالي باراء القراء او النقاد ، وان كان يميل الى ان يمتدح . وهو على اي حال امس من القارىء، وحتى من الناقد . وهل كان الناقد الا قارئاً يستوحي اراء القراء في نقده ؟ .. او يستوحي سبل الفن القديمة ، ناسياً ان الفن تطور دائم ، وان الفنان هو الذي يخلق الاسلوب ! واي فنان عظيم، لم يرضخ لاسلوبه الذي ابدع وياخذ به نقاد العالم وكل قرائه ، ان عاجلا او آجلا ؟..

يا اخي البير ، يلومونك ، وهم محقون في لومهم، لانهم ابعد من ان يفهموك ، ولو فهموك لتبدلت الحال ، وما ضرك الا يفهموك ، فانت تعطي « وجودك » وهم لم يدركوا بعد معنى وجودهم . ولكن لا تنس يا البير ان انساناً واحداً يفهمك ، يغني عن ملايين لا تجد الى الحقيقة سبيلا .

ان لهم ان يدركوا تلك الصوفية الواعية ، تلف الكون بلفتة الى كنهه ، وتغمره بفيض من حنانها البكر الصافي !.. وصوفيتك فرح كامل حتى في عمق بأسائها ، لانها تعرف كيف تستشف من قلب الاحزان درباً الى النور ، وكيف تسمو على الادران ، وتذرف دمعة الحنان و تغسل بها آلام البشر ، وتمسح جبين الابد المظلم !.. وصوفيتك طفولة حيية ، تعابث الكون ببراءتها ، وتجعل منه ابتسامة بمديدة الامل ، وما اظن الابتسامة كشف عن ثنايا ، وانما هي طهر في الصميم ، ونبل في مطاوي الروح :

ويخشع قلبي لانشادك
ثم اغمض عيني في انغامك
فترى نفسي آفاقا جديدة
تتلقن فيها معنى الجمال
وافتح فؤادي لسماعك
فينبئني حاضره
ويتيه في مجاهل اللانهاية
طفلا يجمع الازهار ...

ان من لم يكن طفلا يجمع الازهار ، ناسيا الاشواك، لم يكن انساناً، لان من تحققت امانيه بالزهر،ذبلت الاشواك تحت قدميه!. وصوفيتك ليست لهو ساعة، او خشعة متبتل عابر،في محراب

في سبيله العثرات والعصي ، ولكن مجلة « الاديب » ظلت تسير بهدوء ورباطة جأش دون ان تعبأ او تبالي .

لقد ثبت البير أديب ثبات الابطال فاستحق اعجاب قراء العربية وتأييدهم ، واعطى الدليل القاطع على رجولته وعزيمته .
وها هي «الاديب» تصدر كل شهر وتوزع في كل بلد عربي ومعظم البلاد العربية لتعطي صورة صادقة عن لبنان ، البلد العربي الابي

هذه لمحة قصيرة عن صاحب « لمن ؟ » اما المجموعة نفسها ، فدليل قاطع على الذوق الذي يتميز به الاستاذ البير أديب . انها مثال لاناقة الطبع وجودة الاخراج . اضف الى ذلك الصور الرمزية البديعة ، التي تختال بين مقطوعات المؤلف الفاضل .
والاستاذ البير برع بهذا النوع من الشعر الطلق ، فهو يصور به احاسيسه ومشاعره ويعبر عنها باجمل المعاني والطف الالفاظ .
انه نوع من الشعر قل من يحسنه في العربية . ومن يزاولونه من الكتاب لا يدرك معظمهم معنى لما يكتب،فهو شعر - في نظرهم - قد تحرر من قيد الوزن والقافية ، ولا مانع - في نظرهم ايضاً - ان يتحرر من قوة المعنى وجمال المبنى !!

انه شعر جميل عذب هذا الذي يقدمه الينا صاحب «الاديب» في مجموعته الشعرية هذه ، فاذا ما دعوت قراء العربية الى اقتنائها فما احسبني قد دعوتهم الا الى مائدة من الفاكهة النضرة الشهية .

عبد الغني العطري
« الدنيا » دمشق
رئيس تحرير الدنيا وصاحبها

لمن

ديوان امل وفرح ...

كثيراً ما اتساءل عندما اقرأ هؤلاء الفنانين: احقاً هذا كل شيء؟.. والمح من خلال ما اقرأ آلاماً لا حد لها، او افراحاً اعمق من القدر !.. فليس ما بين ايدينا الأ صورة لبعض تلك الالام والافراح ، بل لمحة خاطفة تكاد تكون عابرة !..فالفنان لا يعطي كل ما بنفسه ، وفي رأيي انه لو فعل لاستنفد ما في ذاته من دوافع ، ففقد ما يميزه كفنان . فهو دائماً يستبقي اعمق ما في نفسه من احزان او افراح ، لنفسه . ذلك لانه يدرك ان على النفوس الكبيرة ان لا تذيع الاضطراب الذي تستشعره .
- والاضطراب حالة من القلق، قلق الفرح العميق او الحزن العميق - ولانه يعرف ان المجتمع ، انى كان ، لا يدرك حقيقة احاسيسه . ولعل هذه المآسي والافراح التي يكتمها في نفسه ، العوامل الصادقة العميقة في تكوين فنه!..وما اروع ذلك الخشوع في محراب هذه المشاعر الخبيئة، ساعة يلجأ الفنان الى نفسه فيعتريه القلق، امام ما يخط من احاسيسها ، او يستبقي كامناً في حناياه ..

يلومونك يا اخي البير احياناً، وما رأيت انساناً يلومك وهو يعرف ما يفعل ؟.. لا بأس يا اخي ! فالفنان ابداً في صراع مع قرائه ، وكثيرون من يهابون مواجهة القارىء، فيكتبون له ما يريد ، لا ما يشعرون ، فينحدرون . وهؤلاء ليسوا بفنانين ، فالفنان الحق ، لا يهمه الا طلب الحقيقة الازلية ولن يبالي باراء القراء او النقاد ، وان كان يميل الى ان يمتدح . وهو على اي حال اممى من القارىء وحتى من الناقد . وهل كان الناقد الا قارئاً يستوحي اراء القراء في نقده ؟ .. او يستوحي سبل الفن القديمة ، ناسياً ان الفن تطور دائم ، وان الفنان هو الذي يخلق الاسلوب ! واي فنان عظيم، لم يرضخ لاسلوبه الذي ابدع وياخذ به نقاد العالم وكل قرائه ، ان عاجلا او آجلا ؟..

يا اخي البير ، يلومونك ، وهم محقون في لومهم، لانهم ابعد من ان يفهموك ، ولو فهموك لتبدلت الحال ، وما ضرك الا يفهموك ، فانت تعطي « وجودك » وهم لم يدركوا بعد معنى وجودهم . ولكن لا تنس يا البير ان انساناً واحداً يفهمك ، يغني عن ملايين لا تجد الى الحقيقة سبيلا .

ان لهم ان يدركوا تلك الصوفية الواعية ، تلف الكون بلفتة الى كنهه ، وتغمره بفيض من حنانها البكر الصافي !.. وصوفيتك فرح كامل حتى في عمق بأسائها ، لانها تعرف كيف تستشف من قلب الاحزان درباً الى النور ، وكيف تسمو على الادران ، وتذرف دمعة الحنان وتغسل بها آلام البشر ، وتمسح جبين الابد المظلم !.. وصوفيتك طفولة حيية ، تعابث الكون ببراءتها، وتجعل منه ابتسامة بديدة الامل ، وما اظن الابتسامة كشف عن ثنايا ، وانما هي طهر في الصميم ، ونبل في مطاوي الروح :

ويخشع قلبي لانشادك
ثم اغمض عيني في انغامك
فترى نفسي آفاقا جديدة
تتلقن فيها معنى الجمال
وافتح فؤادي لسماعك
فينسى حاضره
ويتيه في مجاهل اللانهاية
طفلا يجمع الازهار ...

ان من لم يكن طفلا يجمع الازهار ، ناسيا الاشواك، لم يكن انساناً، لان من تحققت امانيه بالازهر، ذبلت الاشواك تحت قدميه!.
وصوفيتك ليست لهو ساعة، او خشعة متبتل عابر، في محراب

قصي عن العالم . انها خشعة ابدية في محراب هذا العالم الفسيح ، ولهو الهي ، يطل على الكون من الذرى ، ذرى المجد الذي مسحت جبينه بجناحك ويحس جزئيات الاشياء ، ويعيش مع الناس ، ويشدهم الامهم ، والافراح المحجوبة عن الوجود بستار بأسائهم فتنفتح الافاق وتهل الرؤى موشحه بالازاهير ، ازاهير الفجر الحق

وصوفيتك ليست انطوائية بعيدة عن ادراك حقائق امتك ، انها تحيا في صميم الشعب ، ولخير الشعب ! ولا تحس ذاتها الا في فجر عذاب الشعب والا فما هذه الـ « لمن ؟ » وهذه القدم :

قدم مثقلة تشق الطريق ...
.. تشق الطريق ...

ثم « ظمآنة » اني لا ارى فيها الا صورة لفئة مجرمة تلغ في دماء الشعب « وهي ابداً ظمآنة لا ترتوي » :

ولكنها سوف تهبط قواها ،
وترتمي على ركبتيها من الضعف والوهن
***
ويمر بها الذين عرفوها فيقولون
هي أشباح الضحايا
تتراقص امامها في الليل فترعبها
فهل تنفعها الصلاة ؟
***
اجل سوف : « يفتح نسيم الشروق البليل
الابواب والنوافذ
وهو يسبح بانشودة الحياة »
***

نعم يا اخي ستظل في صوفيتك مع الشعب وللشعب ، وستقول لمستغلي الشعب مع طاغور :

« ان شرا يتطاير من عيونكم ، قد يوقظ الطفل مذعوراً في مهده ، ولكن من يخيف ذلك الذي لا يخاف ؟ »

القطع الرائعة في مجموعتك كثيرة ، فهل اذكرك بـ « حياتنا » او « بشاعر » او بـ « انت » او بـ « توحد » ومع هذا فلا بد من وقفة عند بعض مقطوعاتك . لا اظن الشعر الرمزي من نوع الفكر المجرد ، فالشاعر الرمزي ، يعطي قمم الاشياء ، ويدل على الكوى ، لنطل منها على الاعماق . فقطوعة « الذوق الفني » تكاد تكون فكرة مجردة ، تنتهي الى ما يشبه التشبيه المجرد . ثم « حسن تفاهم » انها اشبه بمذكرة ، نخطها عند سأم الم بنا بعد سهرة تافهة ، بين اناس لا يفهموننا . هذه الاشياء يا اخي لو لم تكن في مجموعتك لكانت في حد الكمال . ومع ذلك « فلكل جواد كبوة » وليست هذه كبوة بعد ، ولكننا نريد لك الكمال ، كما اخبناه وتعشقناه في مقطوعاتك الاخرى .. وبعد ، فهذه عجالة ، وكان علي ان اطيل الوقوف عند هذا النبع الثر ، ومع ذلك فاني المح في ثناياه ، تدفقاً لمجموعة اخرى من الرياحين والزهور فلننتظر! ..

« كل شيء » بيروت **انعام الجندي**

لمن

ديوان ورد .. وشوك !

اجاب احد الخبثاء مرة على سؤال عن الشعر الرمزي بقوله : « هو ان تقول ما تشاء ، فتضرب بحصاة من الارض وجه الشمس او القمر ، ثم تجلس على رأس جبل وتطلب اليه ان يتساوى مع بئر عميق ، وتقول للصحراء انت جنة ، ثم تجعل بعد ذلك العصفور انثى ، والقرميد فراش لقاء .. كل ذلك دون ان يفهم القارىء شيئاً على الاطلاق ، فيحار وهو لا يدري سبباً لحيرته » .

وتذكرت جواب هذا الخبيث وانا اتصفح كتاب « لمن » الذي هو « مجموعة من الشعر الرمزي » لمنشيء مجلة « الاديب » الاستاذ البير اديب . ولاول مرة علمت ان الخبيث ان طعن فما معنى ذلك على الاطلاق ان الطعنة في مكانها وان ادمت ..

فالذي يقرأ « لمن » ، يفهم ويعي ويسكر ... هذا اذا استطاع ان يحلق في الاجواء الفسيحة المكتظة بالاحلام والرؤى والاماني والحنين والآهات ...

اسمع البير اديب يقول في مقطوعة « حياة » :

« كلي ، احتضرت في حلقي مني ، بعد ان عاشت ، في فؤادي معي ، اموت وانا ، لم استطع ، ان الهب بها شفتي ، اموت غريبا ، كما عشت غريبا ، في دنيا المحترات »

لا شك انك ستثمل وانت تقرأ هذه المقطوعة ، ولكنك عندما تقف امام « عابرة » ستحار .. اسمع ما يقول :

شيء من المجهول ، كهمس غول ، غريبة ، دعيني ، الرحى تدور . من قال بلقائنا ، وفاء الشتاء للورود ، لك الدنيا ، تنهيدة الصمت ، شفة على كوب ، جن بي الشوق ، الرحى تدور ... الخ .. !! »

ان كنت قد فهمت شيئاً فلا شك انك ذكي جداً وعبقري الى درجة مخيفة .. اما ان لم تكن قد فهمت فليس الذنب ذنبك ولا ذنبي ، بل ولا ذنب الاستاذ البير اديب ولكنه ذنب السمبولزم .

وفي الكتاب مقطوعات بلغت من حيث الدقة في الصياغة والعمق في المعنى والتصوير ، اروع ما يمكن ان يبلغ ..

وهناك مقطوعات حبذا لو استبعدت مثال : عابرة ـ بوح ـ لمن ـ عبيد ـ خلق ...

اما مقطوعة « انت » التي يقول فيها :

انت ... من انت ؟! ، حقيرة انت .. الى اخر ما هنالك

قصي عن العالم . انها خشعة ابدية في محراب هذا العالم الفسيح ، ولهو المهي، يطل على الكون من الذرى، ذرى المجد الذي مسحت جبينه بجناحك وبحس جزئيات الاشياء ، ويعيش مع الناس ، وينشدهم الامهم، والافراح المحجوبة عن الوجود بستار بأسائهم فتنفتح الافاق وتهل الرؤى موشحه بالازاهير، ازاهير الفجر الحق

وصوفيتك ليست انطوائية بعيدة عن ادراك حقائق امتك ، انها تحيا في صميم الشعب ، ولخير الشعب ! ولا تحس ذاتها الا في فجر عذاب الشعب والا فما هذه الـ « لمن ؟ » وهذه القدم :

قدم مثقلة تشق الطريق ...
.. تشق الطريق ...

ثم « ظمآنة » اني لا ارى فيها الا صورة لفئة مجرمة تلغ في دماء الشعب « وهي ابداً ظمآنة لا ترتوي » :

ولكنها سوف تهبط قواهـا ،
وترتمي على ركبتيها من الضعف والوهن
***
ويمر بهـا الذين عرفوها فيقولون
هي أشباح الضحايا
تتراقص امامها في الليل فترعبها
فهل تنفعها الصلاة ؟
***
اجل سوف : « يفتح نسيم الشروق البليل
الابواب والنوافذ
وهو يسبح بانشودة الحياة »
***

نعم يا اخي ستظل في صوفيتك مع الشعب وللشعب، وستقول لمستغلي الشعب مع طاغور :

« ان شرراً يتطاير من عيونكم ، قد يوقظ الطفل مذعوراً في مهده ، ولكن من يخيف ذلك الذي لا يخاف ؟ »

القطع الرائعة في مجموعتك كثيرة، فهل أذكرك بـ « حياتنا » او « بشاعر » او بـ « انت » او بـ « توحد » ومع هذا فلا بد من وقفة عند بعض مقطوعاتك . لا اظن الشعر الرمزي من نوع الفكر المجرد، فالشاعر الرمزي ، يعطي قمم الاشياء، ويدل على الكوى ، لنطل منها على الاعماق . فمقطوعة « الذوق الفني » تكاد تكون فكرة مجردة ، تنتهي الى ما يشبه التشبيه المجرد . ثم « حسن تفاهم » انها اشبه بمذكرة ، تخطها عند سأم الم بنا بعد سهرة تافهة ، بين اناس لا يفهموننا . هذه الاشياء يا اخي لو لم تكن في مجوعتك لكانت في حد الكمال. ومع ذلك « فلكل جواد كبوة » وليست هذه كبوة بعد ، ولكننا نريد لك الكمال، كما اخبيناه وتعشقناه في مقطوعاتك الاخرى.. وبعد، فهذه عجالة، وكان علي ان اطيل الوقوف عند هذا النبع الثر، ومع ذلك فاني المح في ثناياه، تدفقاً لمجموعة اخرى من الرياحين والزهور فلننتظر!..

« كل شيء » بيروت **انعام الجندي**

لمن

ديوان ورد .. وشوك !

اجاب احد الخبثاء مرة على سؤال عن الشعر الرمزي بقوله : « هو أن تقول ما تشاء، فتضرب بحصاة من الارض وجه الشمس او القمر ، ثم تجلس على رأس جبل وتطلب اليه ان يتساوى مع بئر عميق، وتقول للصحراء انت جنة ، ثم تجعل بعد ذلك العصفور انثى ، والقرميد فراش لقاء .. كل ذلك دون ان يفهم القارى، شيئاً على الاطلاق، فيحار وهو لا يدري سبباً لحيرته ».

وتذكرت جواب هذا الخبيث وانا اتصفح كتاب « لمن » الذي هو « مجموعة من الشعر الرمزي » لمنشىء مجلة « الاديب » الاستاذ البير اديب . ولاول مرة علمت ان الخبيث ان طعن فما معنى ذلك على الاطلاق ان الطعنة في مكانها وان ادمت ..

فالذي يقرأ « لمن » ، يفهم ويعي ويسكر ... هذا اذا استطاع ان يحلق في الاجواء الفسيحة المكتظة بالاحلام والرؤى والاماني والحنين والآهات ...

اسمع البير اديب يقول في مقطوعة « حياة » :

« كلي، احتضرت في حلقي معي، بعد ان عاشت، في فؤادي معي، اموت وانا ، لم استطع ، ان أهب بها شفتي، اموت غريبا ، كما عشت غريبا ، في دنيـا المحترات »

لا شك انك ستثمل وانت تقرأ هذه المقطوعة ، ولكنك عندما تقف امام « عابرة » ستحار .. اسمع ما يقول :

شيء من المجهول ، كهمس غول ، غريبة ، دعيني ، الرحى تدور . من قال بلقائنـا ، وفاء الشتاء للورود ، لـك الدنيا ، تنهيدة الصمت ، شفة على كوب ، جن بي الشوق ، الرحى تدور ... الخ .. !! »

ان كنت قد فهمت شيئاً فلا شك انك ذكي جداً وعبقري الى درجة مخيفة .. اما ان لم تكن قد فهمت فليس الذنب ذنبك ولا ذنبي، بل ولا ذنب الاستاذ البير اديب ولكنه ذنب السمبوليزم.

وفي الكتاب مقطوعات بلغت من حيث الدقة في الصياغة والعمق في المعنى والتصوير ، اروع ما يمكن ان يبلغ ..

وهناك مقطوعات حبذا لو استبعدت مثال : عابرة ـ بوح ـ لمن ـ عبيد ـ خلق ...

اما مقطوعة « انت » التي يقول فيها :

انت ... من انت ؟! ، حقيرة انت .. الى اخر ما هنالك

ان لهذه المقطوعة قصة :

نشر الاستاذ أديب في مجلته مقطوعة « انت » وانهالت عليه القصائد من القراء وكلها مرفوعة « الى انت البير أديب » ، الا ان البريد حمل اليه رسالة من اديبة وكاتبة معروفة ــ نمسك عن ذكر اسمها ــ تعكس فيها الاية . فكما خاطب هو الانثى باحتقار ، خاطبته هي بنفس الكلمات ، وبنفس نهاية الكلمات ، وبنفس الوزن الكتابي .. ومنذ ذلك الحين لم ترفع قصيدة هدية الى « انت البير اديب » .. وبقي البير اديب ينتظر التعرف الى هذه الكاتبة التي ارسلت اليه تلك الرسالة ..

وعلى وجه الاجمال .. ان ديوان « لمن » ديوان جميل .. لولا بعض ما اشتمل عليه .. فحق علينا نعته بانه ديوان ورد .. وشوك !! وهو في كل حال ضربة فنان معلم ، كما يقال .

« كل شيء » بيروت « مشاد »

محاضرة لابتي عن غاليلي

كان

من حظ بيروت انها استقبلت ضيفا من اعلام العلماء الفلكيين الايطاليين هو البرفسور جورجيو آبتي ، نائب رئيس اتحاد المراصد الفلكية العالمية ، وقد أتيح له ان يلقي العديد من المحاضرات ، تارة بالفرنسية وثانية بالانكليزية ، وتارة بالايطالية ، وكان الجمهور البيروتي المثقف في ركاب هذا العلامة انى اقام محاضراته .

والبروفسور جورجيو آبتي من اساطين علماء الفلك المشهود لهم بالمعرفة وسعة الاطلاع ، فضلا عن طريقته المثلى في نشر العلم ، التي ترتكز على خبرة واسعة وعقيدة نادرة .

وقد كان للمحاضرة القيمة التي القاها في النادي الثقافي الايطالي عن اعظم علماء الفلك الايطاليين القدماء غاليليو ، صداها الجميل في نفوس الادباء والعلماء المستمعين الذين غصت بهم قاعة النادي .

***

قال البروفسور : لا شك في ان علم الفلك الذي يعد من اقدم العلوم ستتيح له اهميته انتشاراً عظيما في المستقبل القريب ، ففي عهود التاريخ المظلمة ، كان الانسان يجثو على ركبتيه ليعبد الكواكب والنجوم ، ناعتاً اياها باسماء آلهة القوة والجبروت ، اما انسان اليوم فانه يقلب طرفه في السماء ، ويطيل النظر في كواكبها ونجومها ، آملا ان يهتدي في يوم من الايام الى بسط سيطرته على اقرب الاجرام لهذا الكون . وسيكون لعلم الفلك في هذا الميدان اثره البعيد .

ويكفي ان نلقي نظرة على الامم السالفة لنرى ان الفينيقيين انفسهم لم يهملوا هذا العلم بل كانوا عبدة لهذه الاجرام اكثر من رصدة ، فهليوبوليس الفينيقية اشتهرت بعبادة الشمس ، والافراس والعجلات التي اتت على ذكرها التوراة كانت رموزاً فينيقية ، وكانت عبادة الشمس والقمر في ذلك الحين سارية على قدم المساواة . كما كانت تعزى الى تغييرات القمر مختلف التأثيرات الطبيعية ، فتقام الاعياد ذات الابهة عندما يكون القمر بدراً .

ولا بد ان نذكر ان التقويم الفينيقي كان اقدم من التقويم الاسرائيلي ، وقد وقفنا على ذلك من الكتابات الفينيقية التي عثر عليها في معظم بلدان حوض البحر الابيض المتوسط .

وجماع القول انه لم يكن عند الفينيقيين ابحاث فلكية بالمعنى الحقيقي الذي نفهمه اليوم غير انهم ، قد درسوا بعض الاساليب وتبسطوا بها لكي تساعدهم على معرفة وجهة سيرهم في عرض البحار وفي اسفارهم الشاقة الطويلة . واعتماداً على بعض الروايات التي كثيراً ما رددها الشعراء الكلاسيكيون ، كان الفينيقيون يعتمدون على الشمس نهاراً لمعرفة اتجاههم وعلى الدب الاصغر ليلا : وكان هذا الاخير بين سنة ١٥٠٠ و ٥٠٠ قبل الميلاد يقدم اتجاهاً اضبط مما كان يشير اليه الدب الاكبر . وكان يدعى ــ اي الدب الاصغر ــ ذنب الكلب .

ويكر الزمن كرته حتى يصل الى القرن السابع الميلادي فيشهد الشرق نقطة ملحوظة في العلوم الفلكية ، فيقام في دمشق وبغداد مرصدان شبيهان بما كان معروفاً عند اليونان ولكنهما اضخم واكبر وادق . وكان الرصد فيهما منظماً تنظيماً تاماً ومتواصلا . وفضلا عن ذلك كان يسجل في سجلات معدة لهذا الغرض مهمورة بعد قسم اليمين بامضاءات لجنة من الفلكيين والقضاة .

وكان البتاني من اشهر فلكيي العرب وكان والده يمتهن علم الحيل ويصنع الآلات الفلكية . والذين ترجموا للبتاني يؤكدون بان احداً من الفلكيين المسلمين لم يجر مجراه في الرصد الدقيق للنجوم وتصحيح ارصاد الكواكب وامتحان حركاتها .

رصد البتاني الافلاك ثماني عشرة سنة وقيد خلاصتها في زيج دعاه « الزيج الصابئي » وقد ترجم الى اللاتينية مع غيره من مصنفات البتاني المستشرق الايطالي الشهير نلينو وفيما يلي مقتطف من حديث للبتاني عن علم الفلك قال : « ان الانسان مهما بلغ من العلم ليعجز ان يحيط احاطة كلية بعظمة هذا العلم الواسع السماوي . ولذلك جئت في مؤلفي هذا اشرح المسائل الصعبة والمبادىء العويصة لهذا العلم لامهد السبيل لاولئك الذين يريدون

ان لهذه المقطوعة قصة :

نشر الاستاذ أديب في مجلته مقطوعة « انت » وانهالت عليه القصائد من القراء وكلها مرفوعة « الى انت البير أديب » ، الا ان البريد حمل اليه رسالة من اديبة وكاتبة معروفة ـ نمسك عن ذكر اسمها ـ تعكس فيها الاية . فكما خاطب هو الانثى باحتقار ، خاطبته هي بنفس الكلمات ، وبنفس نهاية الكلمات ، وبنفس الوزن الكتابي .. ومنذ ذلك الحين لم ترفع قصيدة هدية الى « انت البير اديب » .. وبقي البير اديب ينتظر التعرف الى هذه الكاتبة التي ارسلت اليه تلك الرسالة ..

وعلى وجه الاجمال .. ان ديوان « لمن » ديوان جميل .. لولا بعض ما اشتمل عليه .. فحق علينا نعته بانه ديوان ورد .. وشوك !! وهو في كل حال ضربة فنان معلم ، كما يقال .

« كل شيء » بيروت « مشاد »

محاضرة لآبتي عن غاليلي

كان من حظ بيروت انها استقبلت ضيفا من اعلام العلماء الفلكيين الايطاليين هو البرفسور جورجيو آبتي ، نائب رئيس اتحاد المراصد الفلكية العالمية ، وقد أتيح له ان يلقي العديد من المحاضرات ، تارة بالفرنسية ، وثانية بالانكليزية ، وتارة بالايطالية ، وكان الجمهور البيروتي المثقف في ركاب هذا العلامة انى اقام محاضراته .

والبروفسور جورجيو آبتي من اساطين علماء الفلك المشهود لهم بالمعرفة وسعة الاطلاع ، فضلا عن طريقته المثلى في نشر العلم ، التي ترتكز على خبرة واسعة وعقيدة نادرة .

وقد كان لمحاضرة القيمة التي القاها في النادي الثقافي الايطالي عن اعظم علماء الفلك الايطاليين القدماء غاليليو ، صداها الجميل في نفوس الادباء والعلماء المستمعين الذين غصت بهم قاعة النادي .

***

قال البروفسور : لا شك في ان علم الفلك الذي يعد من اقدم العلوم ستتيح له اهميته إنتشاراً عظيما في المستقبل القريب ، ففي عهود التاريخ المظلمة ، كان الانسان يجثو على ركبتيه ليعبد الكواكب والنجوم ، ناعتاً اياها باسماء آلهة القوة والجبروت ، اما انسان اليوم فانه يقلب طرفه في السماء ، ويطيل النظر في كواكبها ونجومها ، آملا ان يهتدي في يوم من الايام الى بسط سيطرته على اقرب الاجرام لهذا الكون . وسيكون لعلم الفلك في هذا الميدان اثره البعيد .

ويكفي ان نلقي نظرة على الامم السالفة لنرى ان الفينيقيين انفسهم لم يهملوا هذا العلم بل كانوا عبدة لهذه الاجرام اكثر من رصدة ، فهليوبوليس الفينيقية اشتهرت بعبادة الشمس ، والافراس والعجلات التي اتت على ذكرها التوراة كانت رموزاً فينيقية ، وكانت عبادة الشمس والقمر في ذلك الحين سارية على قدم المساواة . كما كانت تعزى الى تغييرات القمر مختلف التأثيرات الطبيعية ، فتقام الاعياد ذات الابهة عندما يكون القمر بدراً .

ولا بد ان نذكر ان التقويم الفينيقي كان اقدم من التقويم الاسرائيلي ، وقد وقفنا على ذلك من الكتابات الفينيقية التي عثر عليها في معظم بلدان حوض البحر الابيض المتوسط .

وجماع القول انه لم يكن عند الفينيقيين ابحاث فلكية بالمعنى الحقيقي الذي نفهمه اليوم غير انهم ، قد درسوا بعض الاساليب وتبسطوا بها لكي تساعدهم على معرفة وجهة سيرهم في عرض البحار وفي اسفارهم الشاقة الطويلة . واعتماداً على بعض الروايات التي كثيراً ما رددها الشعراء الكلاسيكيون ، كان الفينيقيون يعتمدون على الشمس نهاراً لمعرفة اتجاههم وعلى الدب الاصغر ليلا : وكان هذا الاخير بين سنة ١٥٠٠ و ٥٠٠ قبل الميلاد يقدم اتجاهاً اضبط مما كان يشير اليه الدب الاكبر . وكان يدعى ـ اي الدب الاصغر ـ ذنب الكلب .

ويكر الزمن كرته حتى يصل الى القرن السابع الميلادي فيشهد الشرق نقطة ملحوظة في العلوم الفلكية ، فيقام في دمشق و بغداد مرصدان شبيهان بما كان معروفاً عند اليونان ولكنهما اضخم واكبر وادق . وكان الرصد فيهما منظماً تنظيماً تاماً ومتواصلا . وفضلا عن ذلك كان يسجل في سجلات معدة لهذا الغرض ممهورة بعد قسم اليمين بامضاءات لجنة من الفلكيين والقضاة .

وكان البتاني من اشهر فلكيي العرب وكان والده يمتهن علم الحيل ويصنع الآلات الفلكية . والذين ترجموا للبتاني يؤكدون بان احداً من الفلكيين المسلمين لم يجر مجراه في الرصد الدقيق للنجوم وتصحيح ارصاد الكواكب وامتحان حركاتها .

رصد البتاني الافلاك ثماني عشرة سنة وقيد خلاصتها في زيج دعاه « الزيج الصابئي » وقد ترجم الى اللاتينية مع غيره من مصنفات البتاني المستشرق الايطالي الشهير نلينو وفيما يلي مقتطف من حديث للبتاني عن علم الفلك قال : « ان الانسان مهما بلغ من العلم ليعجز ان يحيط احاطة كلية بعظمة هذا العلم الواسع السماوي . ولذلك جئت في مؤلفي هذا اشرح المسائل الصعبة والمبادىء العويصة لهذا العلم لامهد السبيل لاولئك الذين يريدون

ن يكونوا من عداد طلابه واتباعه ... ولا عون الا بالله وحده».

ومع ان علماء الشرق لم يرفعوا القناع عن مكتشفات ذات بال في الحقل الفلكي فان ما جمع من الارصاد في المراصد العربية لذو اهمية كبرى . وكذلك عظيم تبسط علماء العرب في المناهج الرياضية واختراعهم الارقام مما ادخل على علم الحساب تسهيلا كلياً . وقد اطلق العرب بعض الاسماء على النجوم الاكثر لمعانا: « كالبربان » ومعناه اللاحقة لانها تلحق الثريا . « وبطل الجوز » ومعناه كتف العملاق و « الطائر » ومعناه النسر الطائر .

وفي تاريخ علم الفلك الحديث نرى ان النجم الاكثر تألقاًهو العالم الايطالي Galileo galilei ، فان ما فعله في سبيل تقدم علم الفلك يعد بحق فتحاً جديداً اذ ابان عن نتائج خصبة جداً وادخل وسيلة جديدة لرصد الكواكب والنجوم مما وسع بشكل عجيب دراسة هذا الكون الفريد الغريب .

الاستاذ جورجيو آبتي

والجدير بالذكر ان اول آلة استخدمها غاليليو كانت مقبض سكين ركزه على نافذة منزله القريب من كنيسة القديس انطونيو ومنه كان يصوب نظره الى نجمة بالذات بواسطة الكرة التي كان ينتهي بها المقبض وبواسطة زاوية احد السطوح القريبة من منزله صار بوسعه ان يعين مركز النجمة ويلاحظ من ليلة الى اخرى اذا كانت في حركة بالنسبة الى ما حولها من النجوم .

وكان لعبقرية غليليو شعاباً كثيرة : كان كاتباً اديباً وفيلسوفاً وعالماً. ففي علم الفلك لم يكتف باعطائنا تكنيكية المنظار بل واعطانا ايضاً آلة دقيقة هي « الرقاص » فبددت الشكوك التي كانت تكتنف مسألة تأكيد الوقت. واعطى علماء الفلك ايضاً التاكيد الحسابي وامكانية مراقبة كل ما تنبأ عنه مراقبة دقيقة حتى عشر الثانية .

ولم تخل حياة غاليليو من مآس شأنه شان العلماء الذين قدر لهم ان يقفوا في وجه تيار عاصف من التقاليد والاوهام ليحولوه الى مجراه الطبيعي، فتألبت عليه قوى رجال الدين وحسد زملائه ، فنغصت عليه قسماً غير قليل من حياته واصابه اخيراً العمى ، فكان خاتمة المآسي التي لا تقل ألماً عن صمم بتهوفن .

وهكذا قدر لفلكينا الكبير الذي ما ارتد طرفه عن قبة الكون باحثاً ومدققاً ان يقضي ايامه الاخيرة بدون العزاء الذي كان يتمناه الا وهو التحديق في عيني ابنته الرؤوف التي ما انفكت تواسيه طيلة محنته الاخيرة .

ان غاليليو علم من اعلام ممثلي عصر النهضة في العلوم ومن اول العاملين على التغيير الاساسي لاساليب الدراسة، هذه الاساليب التي توصلنا بفضلها الى الاكتشافات العديدة في الثلاثة القرون الاخيرة في حقول الرياضيات والفيزياء والفلك .

وعلاوة عما ادى للعلم من خدمات في اساليب البحث والاستقراء الفريدة في تلك الحقول الآنفة الذكر . وعلاوة على مساندته لنظرية كوبرنيك القائلة بثبوت الشمس ودوران الارض والكواكب بالبراهين وعما قدمه الينا بمنظاره من المساعدة الفعالة التي لا غنى عنها لرصد الاجرام السماوية ، وعن تكوينه تلاميذ كان لهم أثر في تاريخ العلوم كـ« توريشللي » مخترع ميزان ضغط الهواء Baromètre وعلاوة عن كل ما ذكرنا فانه عمل ما هو اهم وقدم لنهضتنا العلمية ما هو اثمن : لقد ثبت اركان حقوق الاختبار وطالب ملحاً بضرورة المنهج التجريبي وضرب ضربته فزعزع اركان ذاك الاعتقاد النظري الذي فرضه الفلاسفة المدرسيون . وخط حداً فاصلا بين الايمان او الدين والعلم مما اثار نقمة الكنيسة ضده وبالتالي محاكمته والحكم عليه حكماً جائراً حز في نفسه وآلمها. هذه الكنيسة التي تبنت فيما بعد الخط الفاصل الذي وضعه غليليو بين الدين والعلم .

ولا ننس ان غاليليو هو الوحيد في دنيا العلوم الذي استطاع ان يهاجم الاريسطالية واتباعها الذين ذهب بهم الوهم والتعصب كل مذهب وثل عرشها وعرشهم . ولم تكن انتصاراته واكتشافاته الا لتزيده تواضعاً وشكراناً لله تعالى الذي خصه من بين اقرانه بنوره وعلمه .

وختم البرفسور آبتي حديثه بهذه الكلمات : « ان لغاليليو مكانته الرفيعة في تاريخ الادب ايضاً وتاريخ العلوم . وهو نسيج وحده وفريد عصره . انه كعالم يكتب باسلوب كبار الكتاب . والكاتب فيه يفكر عميقاً رصيناً كتفكير العلماء ، انه من ابرز والمع الشخصيات التاريخية التي ظهرت الى النور في حقل العلم ومن اكبر العلماء الذين عملوا في بناء صرح علم الفلك ».

مصطفى آل عيال

ن يكونوا من عداد طلابه واتباعه ... ولا عون الا بالله وحده»

ومع ان علماء الشرق لم يرفعوا القناع عن مكتشفات ذات بال في الحقل الفلكي؛ فان ما جمع من الارصاد في المراصد العربية لذو اهمية كبرى . وكذلك عظيم تبسط علماء العرب في المناهج الرياضية واختراعهم الارقام مما ادخل على علم الحساب تسهيلا كلياً . وقد اطلق العرب بعض الاسماء على النجوم الاكثر لمعانا: « كالبربان » ومعناه اللاحقة لانها تلحق الثريا . « وبطل الجوز » ومعناه كتف العملاق و « الطائر » ومعناه النسر الطائر .

وفي تاريخ علم الفلك الحديث نرى ان النجم الاكثر تألقاً هو العالم الايطالي Galileo galilei ، فان ما فعله في سبيل تقدم علم الفلك يعد بحق فتحاً جديداً اذ ابان عن نتائج خصبة جداً وادخل وسيلة جديدة لرصد الكواكب والنجوم مما وسع بشكل عجيب دراسة هذا الكون الفريد الغريب .

الاستاذ جورجيو آبتي

والجدير بالذكر ان اول آلة استخدمها غاليليو كانت مقبض سكين ركزه على نافذة منزله القريب من كنيسة القديس انطونيو ومنه كان يصوب نظره الى نجمة بالذات بواسطة الكرة التي كان ينتهي بها المقبض وبواسطة زاوية احد السطوح القريبة من منزله صار بوسعه ان يعين مركز النجمة ويلاحظ من ليلة الى اخرى اذا كانت في حركة بالنسبة الى ما حولها من النجوم .

وكان لعبقرية غليليو شعاباً كثيرة : كان كاتباً اديباً وفيلسوفاً وعالماً. ففي علم الفلك لم يكتف باعطائنا تكنيكية المنظار بل واعطانا ايضاً آلة دقيقة هي « الرقاص » فبددت الشكوك التي كانت تكتنف مسألة تأكيد الوقت. واعطى علماء الفلك ايضاً التأكيد الحسابي وامكانية مراقبة كل ما تنبأ عنه مراقبة دقيقة حتى عشر الثانية .

ولم تخل حياة غاليليو من مآس شأنه شان العلماء الذين قدر لهم ان يقفوا في وجه تيار عاصف من التقاليد والاوهام ليحولوه الى مجراه الطبيعي، فتألبت عليه قوى رجال الدين وحسد زملائه ، فنغصت عليه قسماً غير قليل من حياته واصابه اخيراً العمى ، فكان خاتمة المآسي التي لا تقل ألماً عن صمم بتهوفن .

وهكذا قدر لفلكينا الكبير الذي ما ارتد طرفه عن قبة الكون باحثاً ومدققاً ان يقضي ايامه الاخيرة بدون العزاء الذي كان يتمناه الا وهو التحديق في عيني ابنته الرؤوف التي ما انفكت تواسيه طيلة محنته الاخيرة .

ان غاليليو علم من اعلام ممثلي عصر النهضة في العلوم ومن اول العاملين على التغيير الاساسي لاساليب الدراسة، هذه الاساليب التي توصلنا بفضلها الى الاكتشافات العديدة في الثلاثة القرون الاخيرة في حقول الرياضيات والفيزياء والفلك .

وعلاوة عما ادى للعلم من خدمات في اساليب البحث والاستقراء الفريدة في تلك الحقول الآنفة الذكر . وعلاوة على مساندته لنظرية كوبرنيك القائلة بثبوت الشمس ودوران الارض والكواكب بالبراهين وعما قدمه الينا بمنظاره من المساعدة الفعالة التي لا غنى عنها لرصد الاجرام السماوية ، وعن تكوينه تلاميذ كان لهم أثر في تاريخ العلوم كـ« توريشللي » مخترع ميزان ضغط الهواء Baromètre وعلاوة عن كل ما ذكرنا فانه عمل ما هو اهم وقدم لنهضتنا العلمية ما هو اثمن : لقد ثبت اركان حقوق الاختبار وطالب ملحاً بضرورة المنهج التجريبي وضرب ضربته فزعزع اركان ذاك الاعتقاد النظري الذي فرضه الفلاسفة المدرسيون . وخط حداً فاصلا بين الايمان او الدين والعلم مما اثار نقمة الكنيسة ضده وبالتالي محاكمته والحكم عليه حكماً جائراً حز في نفسه وآلمها. هذه الكنيسة التي تبنت فيما بعد الخط الفاصل الذي وضعه غليليو بين الدين والعلم .

ولا ننس ان غاليليو هو الوحيد في دنيا العلوم الذي استطاع ان يهاجم الارسطالية واتباعها الذين ذهب بهم الوهم والتعصب كل مذهب وثل عرشها وعرشهم . ولم تكن انتصاراته واكتشافاته الا لتزيده تواضعاً وشكراناً لله تعالى الذي خصه من بين اقرانه بنوره وعلمه .

وختم البرفسور آبتي حديثه بهذه الكلمات : « ان لغاليليو مكانته الرفيعة في تاريخ الادب ايضاً وتاريخ العلوم . وهو نسيج وحده وفريد عصره . انه كعالم يكتب باسلوب كبار الكتاب . والكاتب فيه يفكر عميقاً رصيناً كتفكير العلماء ، انه من ابرز والمع الشخصيات التاريخية التي ظهرت الى النور في حقل العلم ومن اكبر العلماء الذين عملوا في بناء صرح علم الفلك » .

مصطفى آل عيال



٢٣ مايو ١٩٥٢ - طالب الكونجرس الأمريكي بتخفيض المعونة المخصصة لاوروبا الى النصف .

٢٤ - صرح الرئيس ترومان بان السلام الدائم اقرب اليوم تناولا مما كان منذ سنة .

٢٦ - وقعت المعاهدة العامة والاتفاقات بين امريكا وبريطانيا وفرنسا وبين الجمهورية الاتحادية الالمانية وهي تقضي بادخال المانيا في رابطة الدفاع الاوروبية على أساس المساواة وإقامة علاقات التعاون بينها وبين الدول الغربية واعطائها حقوقها بوصفها دولة حرة مستقلة سيدة مع المحافظة على حقوق الدول الغربية بشان حماية قواتها المرابطة في المانيا. وتتعهد المانيا بالعمل حسب مبادىء الأمم المتحدة وتدخل هذه المعاهدة والاتفاقات دور التنفيذ عندما تبرمها الدول وعندما تبرم معاهدة الجيش الاوروبي .

واذاع المستشار ايدناور بيانا اعلن فيه ان هذه المعاهدة والاتفاقات تعطي الجمهورية الاتحادية الالمانية حريتها وتضمن سلامتها . وهي تفتح الطريق لتحقيق وحدة اوروبا وتتيح لفرنسا والمانيا ان تتعاونا .

٢٧ - وقع وزراء خارجية فرنسا والمانيا الغربية وايطاليا وهولندا وبلجيكا واللوكسمبورج على معاهدة وحدة الدفاع الاوروبي وحضر المستر ايدن عن بريطانيا والمستر اتشيسون عن امريكا بوصفهما شاهدين وتقع المعاهدة في ١٣١ مادة ومدتها خمسون سنة

٢٨ - عقد وزراء الخارجية الثلاثة الغربيون : ايدن وشومان واتشيسون اجتماعا هاما بصدد الشرق الأوسط كما بحثوا أيضا مشاكل افريقيا الشمالية وقضايا الشرق الأقصى.

٢٩ - وقعت عدة مظاهرات شيوعية في جميع انحاء فرنسا ابتدأت عند قدوم الجنرال ريدجواي إلى باريس لاستلام منصبه وقد اصيب اكثر من مئة جريح واعتقلت السلطات المئات كما اعتقل المسيو جاك دوكلو سكرتير الحزب الشيوعي الفرنسي العام وعضو المجلس النيابي . وقد أعلن وزير الداخلية ان الشيوعيين ارادوا القيام بحركة جدية لقلب نظام الحكم في فرنسا .

٣٠ - قام حوالي ستة آلاف شاب من برلين الشرقية بمحاولة اجتياز القطاع السوفيتي إلى القطاع الامريكي احتجاجا على اتفاقية الصلح بين حكومة المانيا الغربية والدول الغربية وقد حال البوليس الالماني الغربي دونهم ووقع جرحى وقتلى .

٣١ - اتمت سلطات المانيا الشرقية تدابير عزل المانيا الشرقية عن المانيا الغربية وقد احتج المندوبون السامون الغربيون على هذا العزل كما احتجوا على سد الطريق امام الدوريات الحليفة.

٢ يونيو ١٩٥٢ - ارسلت ايران مذكرة إلى بريطانيا والعراق تطلب فيها مجدداً اعترافهما بسيادة ايران على اراضي البحرين.

٣ - طوقت الحامية البريطانية في برلين راديو برلين الخاضع للرقابة السوفياتية بالمنطقة البريطانية وسرحت الحامية الروسية .

٤ - أعلن مجلس الوزراء الاردني تعيين هيئة وصاية للعرش لان مرض الملك طلال الموجود حاليا في باريس يحول دون قيامه باعباء الملك .

٦ - انتخب الامراء وزعماء القبائل في سلطنة لحج الأمير علي عبد الكريم سلطانا وعمره ٣٣ سنة وهو شقيق السلطان فاضل عبد الكريم الذي التجأ الى اليمن عندما طلب منه حاكم عدن الحضور اليها .

٧ - كلف الدكتور مصدق رئيس الوزارة الايرانية الموجود حاليا في هولندا أحد اساتذة القانون الدولي مهمة الدفاع عن وجهة النظر الايرانية امام محكمة العدل الدولية

٨ - وصل الى استمبول ملك وملكة اليونان في زيارة رسمية لتركيا وهذه اول مرة في التاريخ يقوم بها ملك يوناني بزيارة تركيا.

- صدر مرسوم اشتراعي في سوريا بتسمية رئيس الدولة الزعيم فوزي سلو رئيسا لمجلس الوزراء .

٩ - الف الزعيم فوزي سلو الوزارة السورية الاولى بعد آخر انقلاب عسكري. وكان الزعيم يمارس سلطات رئاسة الدولة والوزارة بدون وزراء بمعاونة الامناء العامين للوزارات

١١ - خطب المستر تشرشل قائلا ان حالة بريطانيا الاقتصادية خطيرة جداً وهي مهددة بان تفقد ممتلكاتها ونفوذها بسبب هذه الأزمة التي تعانيها .

- رفض رئيس لجنة المراقبة السوفياتية في المانيا الشرقية مذكرة الاحتجاج الانجلو امريكية بشان القيود المفروضة على الدوريات الحليفة الآتية من غرب برلين .

١٢ - أعلن المستر ايدن وزير الخارجية البريطانية ان تصرف رئيس جمهورية كوريا الجنوبية سينغمان راي برفضه قرار مجلس النواب بالغاء الاحكام العرفية مخالف للدستور وقال ان الحكومة البريطانية توافق على إعادة استفتاء الاسرى الشيوعيين للتثبت من رغبتهم في البقاء أو العودة الى المناطق الشيوعية .

- اضربت الصحف اللبنانية عن الصدور كما اغلقت مدينة بيروت متاجرها احتجاجا . وتاييدا لحرية الصحافة .

١٤ - عينت الحكومة السعودية خبيراً امريكيا لوكالة النقد الجديدة التي انشأتها لتقوية وتحديد قيمة النقد بالنسبة للنقد الاجنبي ولانشاء نظام مالي صحيح في البلاد .

- شنت القوات الشمالية في كوريا هجوما كبيراً على خطوط قوات الأمم المتحدة .

١٥ - عين اندريه غروميكو وكيل الخارجية السوفياتية سفيراً لبلاده في لندن .

١٧ - قامت مظاهرات عنيفة في ستوكهولم امام السفارة السوفياتية احتجاجا على إسقاط طائرة اسعاف سويدية من قبل المطاردات السوفيتية .

١٨ - أعلن الهر غروتفول رئيس وزراء المانيا الشرقية ان الحكومة تعمل الان لانشاء جيش الماني شرقي لمقاومة عدوان الغرب.

٢٠ - ارسلت الحكومة السوفياتية الى حكومة فنزويلا مذكرة احتجاج على اساءة معاملة السفارة السوفياتية في كراكاس بعد قطع العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين .

٢٢ - صرح المستر انطوني ايدن وزير الخارجية البريطانية بان الحالة في برلين مرضية بعض الشيء الآن .

دار الطباعة والنشر اللبنانية - بيروت
تليفون 98 - 35